المكتبة الكلاسيكية



دار الشروق

وليام شكسبير

تاجر البندقية

ترجمة : حسين أحمد أمين



دار الشروق

مقدمة

(١)

نُشرت هذه المسرحية فى كتاب لأول مرة عام ١٦٠٠ ، أثناء حياة شكسبير . غير أن ثمة من الدلائل ما يشير إلى أنه كتبها فى وقت تال لنهاية يوليو عام ١٥٩٦ ، وسابق على نهاية يوليو عام ١٥٩٨ . وأهم هذه الدلائل :

* إشارة وردت فى المشهد الأول من الفصل الأول إلى السفينة « أندرو » (أوسان أندريز) ، وهى سفينة أسبانية ضخمة استولى عليها الإنجليز فى يونيو ١٥٩٦ أثناء هجوم مفاجئ لهم على ميناء قادس ؛

* تسجيل طلب بتاريخ ٢٢ يوليو ١٥٩٨ لدى الشركة المحتكرة لحق الطباعة والنشر فى زمن شكسبير بطبع مسرحية « تاجر البندقية » ؛

* قضية التاجر البرتغالى اليهودى روديريجو لوبيز وإعدامه عام ١٥٩٤ بتهمة الخيانة العظمى .

وقد أضحى لوبيز هذا بعد اعتناقه المسيحية طبيبًا للملكة إليزابيث الأولى . وحين وفد المطالب بعرش البرتغال ، واسمه دون أنطونيو ، إلى لندن عام ١٥٩٢ ، اتصل به لوبيز وعاونه من أجل الوصول إلى غرضه . والظاهر أنه أقحم نفسه فى سبيل ذلك فى مغامرة سياسية خطرة سعى فيها إلى تحقيق مصالح ذاتية له . وحين دب خلاف بينه وبين إيرل إسيكس ، اتهمه إسيكس بالخيانة وبمحاولة دس السم لدون أنطونيو وللملكة إليزابيث ، فحوكم لوبيز فى فبراير ١٥٩٤ ، وأُعدم فى ٧ يونيو من نفس

العام . وقد نجح إسيكس فى إثارة اهتمام الرأى العام بهذه القضية ، إذ نجد إشارات عديدة إليها فى كتابات المعاصرين لها ، كما أعيد عرض مسرحية « يهودى مالطة » لكريستوفر مارلو ، فمُثّلت خمس عشرة مرة فيما بين ٤ فبراير ونهاية عام ١٥٩٤ . وكان لنجاح تلك المسرحية أثره فى حفز شكسبير على كتابة مسرحية مماثلة تؤدّيها فرقته ، وتتعرّض « لموضوع الساعة » الذى يحظى باهتمام الجمهور . وقد رأى البعض إشارة إلى قضية لوبيز فى قولة جراشيانو لشايلوك فى المسرحية :

« ما روحك الشريرة غير روح ذئب شنقوه لقتله آدميا ، ثم طارت من المشنقة لتنتقل إليك وأنت فى بطن أمك العاهرة » ، علما بأن معنى الذئب فى اللغة اللاتينية هو Lupus ، القريب من لوبيز .

(٢)

وقد استقى شكسبير أحداث المسرحية من عدة مصادر . فقصته ضمان اللحم الادمى لتنفيذ العقد نجدها فى الكثير من الأساطير الدينية عند الفرس والهنود . وترجع أقدم القصص الإنجليزية المعروفة التى تتحدث عن مثل هذا الضمان إلى أواخر القرن الثالث عشر ، وفيها نجد الدائن يهوديًا . غير أن أشبه القصص بأحداث « تاجر البندقية » هى القصة الأولى من قصص اليوم الرابع فى كتاب جيوفانى فيورينتينو « Il Pecorone » (الأبله) ، وهو مجموعة من القصص القصيرة الإيطالية كُتبت فى نهاية القرن الرابع عشر ، وطبعت فى ميلانو عام ١٥٥٨ . ورغم أنه لم يُعثر على ترجمة إنجليزية للقصة يمكن أن يكون شكسبير قد قرأها ، وبالرغم من أن الطريقة التى تم بها اختيار البطلة لزوجها تختلف فى تلك القصة عنها فى مسرحية « تاجر البندقية » ، فلا جدال فى أنها المصدر القديم الوحيد الذى تتفق الأحداث والتفاصيل فيه إلى حد كبير مع تلك الواردة فى مسرحية شكسبير ، بحيث يمكن القول فى ثقة بأن شكسبير قد اعتمد إما على النص الإيطالى (وربما كان قادرًا على فهم الإيطالية) ، أو على ترجمة إنجليزية له لم تصلنا ، وأن المترجم الإنجليزى قد

يكون هو المسئول ، لا شكسبير ، عن إضافة قصة الصناديق الثلاثة ، الذهبى والفضى والرصاصى ، عند الحديث عن طريقة زواج البطلة .

غير أن شكسبير كثيرًا ما كان يستخدم أكثر من مصدر واحد للمسرحية الواحدة . ومن الجائز فى حالة « تاجر البندقية » أن يكون قد استعان أيضًا بالكتاب الثالث من قصة « Zelauto » للكاتب مانداى (١٥٨٠) ، رغم أن المرابى مسيحى فى تلك القصة . فحديث بورشيا فى الفصل الرابع من « تاجر البندقية » عن الرحمة مقارب جدًا لما ورد فى قصة مانداى . كذلك فإن لدى المرابى فى تلك القصة ابنة تتزوج رغم إرادته من شاب يرث ممتلكاته فى نهايتها ، وثمة سيدتان فيها تتنكران فى المحكمة فى زىّ المحامين .

أضف إلى ذلك دَين شكسبير لمسرحية مارلو « يهودى مالطة » التى مُثّلت على المسرح لأول مرة حوالى عام ١٥٨٩ . فثمة فى المسرحيتين جمل عديدة متشابهة ، كما أنه لاشك فى أن تصوير مارلو لشخصية باراباس كان له صداه فى تصوير شكسبير لشخصية شايلوك ، وأن تحوّل ابنة اليهودى إلى الديانة المسيحية فى مسرحية مارلو أوحى إلى شكسبير بفكرة تنصير جيسيكا .

ومن المحتمل أيضًا أن يكون شكسبير قد استوحى أخلاقيات يهود لندن فى زمنه . فقد كان يعيش فى انجلترا فى ذلك العصر عدد من اليهود الذين اعتنقوا المسيحية تحايلاً منهم على القانون الذى يحظر إقامة اليهود فى بريطانيا ، وظلوا مع ذلك محتفظين بأسلوب عيشهم المتميز وبعباداتهم القديمة .

أما عن قصة الصناديق الثلاثة فلعل شكسبير (أو المترجم الإنجليزى لقصة « Il Pecorone ») قد استقاها من إحدى حكايات مجموعة Gesta Romanorum التى كتبت باللاتينية فى العصور الوسطى ونشرت ترجمتها الإنجليزية عام ١٥٧٧ ، ثم أعيد طبعها بعد تصحيح الترجمة عام ١٥٩٥ . وفى تشابه بعض العبارات الواردة فى تلك الطبعة الثانية مع بعض العبارات التى استخدمها شكسبير فى حديثه عن الصناديق ما يوحى بأن قد استند إليها .

وأخيرًا فإن ثمة قصة إيطالية أخرى كتبها ماسوتشيو دى سالرنو قرب نهاية القرن الخامس عشر تتحدث عن فرار ابنة بخيل ثرىّ من منزلها للحاق بعشيقها ، وبمعاونة

خادم لها ، آخذة معها مجوهرات أبيها الذى يحزنه ضياع مجوهراته قدر ما تحزنه خسارته لابنته . وهى نفس قصة جيسيكا فى « تاجر البندقية » .

(٣)

وبالرغم من أن « تاجر البندقية » ليست من خيرة مسرحيات شكسبير ، فإن إقبال مسارح العالم على عرضها [1] لا يفوقه غير إقبالها على عرض « هاملت » . ولعل للممثلين فى هذا الصدد تأثيرًا كبيرًا . فثمة شخصيات فى المسرحية هى قابلة لتأويلات مختلفة تُغرى كبار الممثلين بمحاولتها ، من شخصيتى أنطونيو وبسانيو اللذين كانا يُصوَّران بصورة الصديقين الحميمين ، حتى بدأ البعض منذ ستينيات هذا القرن يضيف إليهما صفة الشذوذ الجنسى ويجعلهما يتبادلان القبلات حتى فى قاعة المحكمة ، إلى شخصية بورشيا التى تحوّلت إلى رمز للمرأة المتحررة القوية ، إلى شخصية شايلوك التى تفاوتت التأويلات لها على مرّ القرون تفاوتًا كبيرًا ، وتراوحت ما بين الصورة الهزلية البحتة ، وصورة اليهودى الوغد عدو الإنسانية ، والصورة المأساوية لشخصية قوية نبيلة فى مواجهة مجتمع معادٍ له ، حتى وصلنا فى عصرنا الحديث ـ بعد ظهور النازية ـ إلى صورة الضحية البائسة لمشاعر العداء للسامية . وهى تأويلات ظلت تُغرى بمحاولتها أبرز نجوم المسرح فى كل عصر ، من تشارلس ماكلين (الذى لعب دور شايلوك لمدة خمسين عاما ، وظهر فيه لآخر مرة فى سن التاسعة والتسعين !) ، إلى إدموند كين ، إلى ويليام ماكريدى ، إلى سير هنرى إيرفينج ، إلى سيرجون جيلجود وسير دونالد ولفيت وسيرلورانس أوليفييه وبول روجرز وبيتر أوتول فى زمننا هذا .

فشخصية شايلوك مع قصر دورها (فهو يظهر فى خمسة مشاهد فقط من مشاهد المسرحية العشرين) هى المهيمنة على المسرحية . وإن نحن تأملنا شخصية « اليهودى

(١) خاصة فى ألمانيا .

الشرير » فى قصة « الأبله » (Il Pecorone) مصدر شكسبير الرئيسى ، أو شخصية باراباس فى مسرحية « يهودى مالطة » ، اتضح لنا أن شكسبير قدّم فى «تاجر البندقية » شخصية جديدة من خلقه هو وحده .

كان اليهود قد طردوا من انجلترا فى عهد إدوارد الأول (توفى عام ١٣٠٧) ، واستمر حظر تواجدهم فيها ما لم يعتنقوا المسيحية ، شكليا على الأقل ، فيتاح لهم عندئذ قدر من حرية ممارسة نمط عيشهم بل وشعائرهم الدينية . وفى العقد الذى كتبت خلاله « تاجر البندقية » لم يحدث إلا مرة واحدة فحسب أن ثارت مشاعر الجماهير فى لندن ضد اليهود ، وذلك وقت محاكمة لوبيز وإعدامه . فاليهود فى انجلترا فى ذلك العصر لم يكن ينظر إليهم بعين الخوف ، وإنما باعتبارهم أشخاصًا غريبى الأطوار والعادات ، غريبى السلوك ، ينتمون إلى أزمنة سحيقة وأصقاع بعيدة، ويكرهون المسيحيين كافة ، جديرين بالسخرية أكثر مما هم جديرون بالعداوة .

وقد كانت صورتهم فى الأعمال الأدبية عادة صورة مسطحة هزلية لا عمق فيها ، حتى جاءت مسرحية « تاجر البندقية » فأضافت إليها أبعادًا جديدة . ذلك أنه بالرغم من أن شكسبير كتبها فى جو من العداء لليهود أثارته قضية لوبيز ، ولكى تنافس فرقته بها تلك الفرقة التمثيلية التى كانت تقدم مسرحية مارلو بنجاح كبير ، فإنه لا يمكن وصفها بسهولة بأنها مسرحية معادية لليهود . فقد أتاح شكسبير الفرصة أمام شايلوك لكى يبرر تصرفاته ويدافع عنها ، بل وأثار فينا فى بعض المواقف مشاعر التعاطف معه . . قد يكون شكسبير ـ وقت التفكير فى كتابتها ـ قد اعتزم السخرية من اليهود وتحقيرهم . غير أنه حين شرع يؤلفها رأى نفسه مدفوعًا إلى تصوير آدمى متعدد الأبعاد ، لا مجرد وحش بغيض كاسر يلعنه الناس . إستمع إليه يقول :

« سيدى أنطونيو . مرارًا وتكرارًا عيّرتنى فى الريالتو بسبب ثروتى وما أتقاضاه من الربا . ومع ذلك فقد تحمّلتُ الإهانات فى صبر . فالصبر شعار قبيلتنا بأسرها . . نعتّنى بالكفر ، وبأنى كلب سفاح ، وبصقت على زيّى اليهودى ، دون ما سبب غير استثمارى لأموال هى ملكى . . حسنا إذن . والآن يبدو وكأنك فى حاجة إلى

مساعدتى . . . دعنى منك ! تأتينى وتقول : « شايلوك ، نريد مالا » . تقول لى هذا وأنت الذى بصقت لعابك على لحيتى ، ورفستنى رفسك للكلب الضال عند عتبة دارك . . تريد مالا . . فما عساى أن أقوله لك ؟ أليس من واجبى أن أقول : « وهل للكلب مال ؟ أيُعقل أن يكون بوسع الكلب إقراض ثلاثة آلاف دوقية ؟ » ، أم أن علىّ أن أنحنى لك ، وأن أهمس كالعبد الذليل وبأنفاس متقطعة : « سيدى الكريم، قد بصقت علىّ يوم الأربعاء الماضى ، وركلتنى فى اليوم الفلانى ، ونعتّنى بالكلب تارة أخرى ، ومن أجل كل هذا التعطّف منك سأقرضك مالا كثيرًا ؟ » »

كل هذا دون أن يتعرض شكسبير للإجابة على التساؤل الأزلى عما إذا كان الاضطهاد الذى يتعرض اليهودى له هو الذى جعله شريرًا حقودًا ، أو أن طباعه الشريرة هى السبب فى اضطهاد الناس له .

أما الموقف الواضح لدى شكسبير فهو الخاص بالربا . فاليهودى لا يكره التاجر أنطونيو لأنه مسيحى فحسب ، وإنما أيضًا لأنه « يقرض المال بدون فوائد ، فيقلل مما نجنيه من الربا هنا فى البندقية » . . وقد كان الجدال مستعرا فى انجلترا وقت شكسبير حول مزايا وعيوب الربا ، وهو إقراض المال بغرض الكسب . وكان الرأى الشائع هو أن الربا شر عظيم ، غير أن البعض قالوا بشرعيته مع ضرورة مراقبته . فإن كانت الكتب المقدسة تحرّمه ، فقد جاء كلفن وغيره من رجال الدين يقرون بضرورته فى المجتمع الحديث ، وكتب فرانسيس بيكون مقالا عنه يصفه فيه بأنه حتمىّ « لا يمكن تجنّبه » ، فى حين وصفته القوانين الإنجليزية بأنه خطيئة ينبغى قمعها وإن سمحت به على ألا تتجاوز قيمة الفائدة ١٠٪ من أصل القرض . وقد كانت ثمة ضرورة ملحة لدى الكثيرين فى ذلك العصر إلى الاقتراض من الغير ، وكان الأكابر من أمثال سيدنى وإيسيكس وليستر وساوثامبتون ، بل وحتى الملكة إليزابيث ، مضطرين إلى استدانة مبالغ طائلة من البنوك الأوروبية . كما اضطرت فرقة شكسبير التمثيلية نفسها إلى اقتراض مبلغ لبناء مسرحها بفوائد أرهقت كاهلها .

ومع وضوح استنكار شكسبير للربا ، فقد أتاح لشايلوك فرصة تبريره وكأنما كان عاقد العزم على ألا تكون الشخصية بأىّ حال من الأحوال مسطحة باهتة لا تثير لدى الجمهور غير مشاعر العداء والغضب والكراهية . وقد أفلح بالفعل فى مسعاه ، أو

هكذا يبدو لى . فقد يكون شايلوك مضحكًا فى دور الأب البخيل ، وقاسيًا متوحشًا فى دور المرابى ، غير أنه إنسان يشعر ويتألم ، ويعانى ويصبر ، قوىّ الشخصية ، معتزّ بدينه ، فخور بقومه . . استمع إليه فى الفصل الثالث يتحدث عن أنطونيو فيقول :

« قد هزأ بخسائرى ، وسخر من أرباحى ، واحتقر أمّتى ، وأفسد صفقاتى ، وحوّل عنى أصدقائى ، وأثار علىّ أعدائى . فما دافعه إلى ذلك ؟ أننى يهودى . . أما لليهودى عينان ؟ أما لليهودى يدان ، وأعضاء وهيئة ، ومدارك وعواطف وأحاسيس؟ أليس كالمسيحى يأكل من نفس الطعام ، وتؤذيه نفس الأسلحة ، وتصيبه نفس الأمراض ، ويعالجه نفس الدواء ، ويشعر بالدفء فى نفس الصيف ، وبالبرد فى نفس الشتاء ؟ ألا يسيل الدم منا إذا طعنتمونا ، ونضحك إذا داعبتمونا ، ونموت إذا سممتمونا ؟ فإن أنتم أسأتم إلينا ، أفما من حقنا أن ننتقم ؟ فإن كنا مثلكم فى كل ما ذكرت ، فسنكون مثلكم فى هذا الصدد أيضًا . إذ ما جزاء اليهودى إن هو أساء إلى مسيحى ؟ الثأر . وما هو بالتالى جزاء المسيحى إن هو اساء إلى يهودى؟ هو الثأر أيضا ! وستشهدون منى الغلظة التى تعلّمتها منكم ، بل وأشدّ منها إن لم يحل بينى وبينها حائل » .

(٤)

لقد سيقت أمامنا نقائص شايلوك واحدة إثر أخرى وسُلّط الضوء عليها . أما نقائص خصومه من المسيحيين الذين يبدو المؤلف متعاطفا معهم فإنه يمرّ عليها مرّ الكرام . فأنطونيو الذى يصفه أصدقاؤه ومعارفه بأنه أطيب الناس قلبًا ،يسبّ اليهودى ، ويصفه بالكلب السفاح ، ويركله بقدمه وكأنه كلب ضال ، ويبصق على زيّه اليهودى ، ثم يقول له وهو يسعى إلى اقتراض مبلغ من المال منه : « وما أحسب إلا أنى سأنعتك بهذا مرة أخرى ، وأبصق عليك مرة أخرى ، وأركلك أيضًا بقدمى . . فإن أنت أقرضتنى المال فلا تقرضه لى إقراض الصديق للصديق . . ولكن

أقرضه لى إقراضك لعدو » . وأما صديقه المفلس بسانيو ، فهو حين يطلب قرضًا جديدًا من أنطونيو حتى يتقدم لخطبة الوارثة الغنية بورشيا ، لا يتحرج من أن يخبره بأن زواجه منها سيمكّنه من سداد الديون القديمة والجديدة معًا ، (من مال زوجته بطبيعة الحال) . وأما صديقهما لورينزو فإنه حين يأتى إلى دار اليهودى ليهرب مع ابنته جيسيكا ليتزوج منها ، لا يجد أدنى حرج من أن يتلقف منها علبة تخبره جيسيكا صراحة بأنها تحوى أموالاً وحليًا سرقتها من أبيها !

غير أن شكسبير يسعده دائمًا مزج الفضائل بالنقائص حتى تأتى شخصياته أكثر واقعية وإنسانية وأبعادًا . . . وثمة مزج آخر قد أتقنه ، هو مزجه لقصص مختلفة لا صلة تربط بين موضوعاتها فى قصة واحدة متّسقة منسجمة . . فقد يتساءل القارئ هنا عن صلة قصة الصناديق الثلاثة التى تستغرق أربعة مشاهد من المسرحية بقصة رطل اللحم الذى يطالب به شايلوك . غير أنه يمكن للمدافعين عن هذا المزج أن يردّوا بالقول إنه بالرغم من أن شكسبير استقى القصتين من مصدرين مختلفين ، فقد نجح فى خلق صلة عضوية بينهما . فالموضوع الرئيسى فى المسرحية هو الأخذ والعطاء، وأن الإنسان إن وهب الكثير نال الكثير ، أو على حدّ تعبير المسيح : « من عنده سيُعطَى ، ومن ليس عنده سيؤخذ منه » . والعطاء السخى دون تفكير فى مقابل هو أجمل ما فى هذه الحياة من قيم ، وهى القيم التى تمثلها الصناديق الثلاثة : الذهبى والفضى والرصاصى . وسيتوقف الفوز بنعيم الدنيا على طبيعة تكوين الشخص التى ستهديه إلى اختيار القيمة المثلى .

ويتصل بموضوع الأخذ والعطاء موضوع القانون والرحمة . فحين تقف بورشيا وجها لوجه أمام شايلوك فى مشهد المحاكمة ، نشهد الرحمة فى مواجهة القانون ، والسخاء فى مواجهة حب التملك ، والحب الذى هو على استعداد للمخاطرة بكل شىء فى سبيل المحبوب فى مواجهة المطالب بأن ينال ما يستحق ، والعهد الجديد من الكتاب المقدس فى مواجهة العهد القديم . . وقد وصف أحد النقاد مسرحية « تاجر البندقية » بأنها « أقوى ما كتب فى الأدب العالمى فى مضمار السخرية بالقانون والمحاكم » . فهى ترمى إلى الإيحاء بأن من تمسك بالقانون أهلكه القانون ، ولابد لمن يظل دوما يطالب بتطبيق العدالة من أن يضطر فى النهاية إلى الركوع طالبًا الرحمة التى

هى فوق كل قانون أو عدالة . . استمع إلى بورشيا خلال مرافعتها تقول فى وصف الرحمة :

« هى تهبط من السماء كالرذاذ على ما تحتها . وهى تبارك الطرفين معا : من كان مصدرها ومن كان موضعها . وهى تبدو فى أقوى صورها فى أقوى الناس ، فتزين الملك على عرشه أكثر مما يزينه تاجه . قد يكون صولجانه رمزًا لسلطته الدنيوية ولمهابته وجلالته ؛ فهو مصدر خشية الناس وخوفهم من الملوك . أما الرحمة فأعلى شأنا من التاج والصولجان . إنها تجلس على عرش قلب الملك . وهى من صفات الله نفسه ، مما يجعل فى السلطة الدنيوية شبها بقدرة الله حين تجلّل الرحمة العدالة . . وحيث أنك أيها اليهودى تطالب بتحقيق العدالة ، فإنى أريدك أن تتدبّر هذه الحقيقة : وهى أننا إن التزمنا بالعدالة وحدها فلن يُكتب لأحد منا الخلاص . إننا فى دعائنا نطلب لأنفسنا الرحمة . وهذا الدعاء ذاته يعلّمنا واجب الإشفاق على الآخرين» .

* * *

وقد أخطأ المخرجون فى الماضى بحذفهم الفصل الخامس بأسره من عرضهم للمسرحية ، ظنا منهم أنه لا يضيف جديدًا بعد مشهد المحاكمة ، بل ويضعف من تأثير ذلك المشهدالقوى . وهو فهم قاصر للمسرحية كلها ولغرض شكسبير منها . فالفصل الخامس هو فى الحقيقة تتويج للمسرحية بأسرها ، إذ نرى فى مطلعه اجتماع لورينزو المسيحى بجيسيكا اليهودية ، (أو العهد الجديد بالقديم) . ففى أىّ موضوع نسمعهما يتحادثان وقد جمع الحب بينهما ؟ فى فن الموسيقى ، وهو الفن الذى نراه دائمًا عند شكسبير يرمز إلى الإنسجام فى عالمنا هذا .

يقول لورينزو :

« لنجلس هنا ، وندع نغمات الموسيقى تداعب آذاننا . . . مثل هذا الانسجام تعرفه الأرواح الخالدة ، فإن أطبقت عليها أجسادنا الفانية الغليظة المخلوقة من طين، سلبتنا القدرة على سماعه . . . يكفى أن تلاحظى قطيعا من الحيوانات البرية الهائمة ، أو جنسا من الخيول الصغيرة التى لم يركبها بشر ، تقفز كالمجنونة وتصهل صهيلاً يصم الآذان وقد هاجت الحرارة الغريزية فى دمائها . حتى إذا ما سمعت

صوت بوق ، أو وصلت إلى آذانها أنغام من الموسيقى ، رأيتها وقد توقّفت جميعها فى آن واحد ، وتحوّلت النظرة الشرسة فى عيونها إلى نظرة وديعة ، بفعل سحر الموسيقى . لذلك ذهب الشاعر (أوفيد) إلى أن أورفيوس كان يجذب إليه الأشجار والحجارة وسيول المال ، حيث أنه ما من شىء مهما بلغت غلظته وصلابته وشدته إلا أفلحت الموسيقى فى تغيير طبيعته إلى حين . والإنسان الذى تفتقر روحه إلى الموسيقى ، ولا يهزه الانسجام فى الأنغام العذبة ، خليق بالخيانة والمكر والنهب ، ظلام روحه فى مثل ظلام الليل ، ولا يجدر بأحد أن يأتمنه ! »

وعند شكسبير يمثّل شايلوك ذلك الإنسان الذى تفتقر روحه إلى الموسيقى ، ولا يهزه الأنسجام فى الأنغام العذبة ، قد لقى شر جزاء من جراء تمسكه بالقانون دون مشاعر الرحمة ، وبالعقل والمنطق والقوة دون الصداقة والحب . أما أولئك الذين كانوا دائمًا على استعداد للتضحية بكل ما يملكون ، بل وبحياتهم نفسها فى سبيل الآخرين ، فيجمعهم الفصل الأخير وقد فازوا بكل شىء ، وتحققت سعادتهم على أكمل وجه .

حسين أحمد أمين

مصر الجديدة فى ١٨ إبريل ١٩٩٤

شخصيات المسرحية

الشخصية	الوصف
دوق البندقية	
أمير مرّاكش	خاطِبان لبورشيا
أمير أراجون	
أنطونيو	من تجّار البندقية
بسانيو	صديق لأنطونيو ، وخاطب لبورشيا
جراشيانو	
ساليريو	من أصدقاء أنطونيو و بسانيو
سولانيو	
لورينزو	عاشق جيسيكا
شايلوك	يهــودى
طوبال	يهودىّ وصديق لشايلوك
لانسلوت جوبّو	قروىّ وخادم لشايلوك
جوبّو العجوز	والد لانسلوت
ليوناردو	خادم بسانيو

بالتازار	خادمان لبورشيا
ستيفانو	
بورشـيا	وارثة ، من مدينة بلمونت
نِيريسّـا	وصيفة بورشيا
جيسيكا	إبنة شايلوك

نبلاء من البندقية ـ موظفون بالمحكمة ـ سجّان ـ خدم وأتباع آخرون .

تدور أحداث المسرحية فى البندقية ، وفى دار بورشيا بمدينة بلمونت .

مشـاهــد المسـرحيـة

الفصل الأول :

المشهـد الأول : البندقيـة

المشهـد الثانى : بلمـونت

المشهد الثالث : البندقيـة

الفصل الثانى :

المشهـد الأول : بلمـونت

المشهـد الثـانى : البندقيـة

المشهد الثـالث : البندقيـة

المشهد الرابـع : البندقيـة

المشهد الخامس : البندقية ـ أمام دار شايلوك

المشهد السادس : نفس المنظر السابق

المشهد الســابع : بلمـونت

المشهد الثـامن : البندقيـة

المشهد التـاسع : بلمـونت

الفصل الثالث :

المشهـد الأول : البندقيـة

المشهد الثانى : بلمونت

المشهد الثالث : البندقية

المشهد الرابع : بلمونت

المشهد الخامس : بلمونت

الفصل الرابع :

المشهد الأول : البندقية - محكمة

المشهد الثانى : البندقية

الفصل الخامس :

المشهد الأول : بلمونت - بستان أمام دار بورشيا

الفصل الأول

الفصل الأول

المشهد الأول

البندقية

(يدخل أنطونيو ، وساليريو ، وسولانيو)

أنطونيو : صدّقانى حين أقول إنه لا علم لى بسبب هذا الحزن الذى ألمَّ بى . . إنه حزن يُضنينى ، وأنتما تقولان إنه يُضنيكما . غير أنى لا زلتُ أجهل كيف انتقلت إلىّ عدواه ، أو كيف صادفتُه أو التقيتُ به ، جهلى بماهيته ومصدره . وقد أطار الهمّ لُبّى حتى غدا من الصعب علىّ أن أفهم نفسى .

ساليريو : كل ما هناك هو أن ذهنك يتأرجح على أمواج المحيط ، حيث تمخرُ سفن بضائعك بأشرعتها المهيبة ، وتسير فوق الماء سَيْرَ النبلاء والمواطنين الأثرياء فوق الأرض ، أو سَيْرَ سفن المهرجانات الضخمة التى تتطلّع من علٍ إلى المراكب الصغيرة بالقرب منها ، وتخلّفها وراءها وكأنما تطير طيرًا بأجنحتها المنسوجة ، بينما تُحنى لها تلك المراكب هامتها تعبيرًا عن احترامها .

سولانيو : صدقنى ياسيدى ، لو أنى خاطرتُ مثلك بإرسال سفنى وبضائعى إلى عرض البحر ، لا نحصر جُلّ اهتمامى فيما عقدتُه من آمال خارج بلدى ، ولَظَلَلْتُ أقتلع الأعشاب حتى تنبئنى بمسرى الريح ، وأدرس الخرائط باحثًا عن الموانئ والأرصفة والطرق ، ولأحزننى دون أدنى شك كل ما قد يثير مخاوفى من أن يلحق بتجارتى شرّ .

ساليريو : ولأصابتنى أنا القشعريرة كلما نفختُ على حسائى لأبرّده ، فيذكّرنى نفخى بالضرر الذى يمكن للريح العاصفة أن تُحدثه فى البحر . فإن نظرتُ إلى الرمل يجرى فى الساعة الرملية فكّرت فى المياه الضحلة ، وتصوّرت سفينتى المحمّلة - كالسفينة أندرو [1] بثمين البضائع ، وقد غرست فى الرمال، وانحنى صاريها العالى إلى ما دون أضلاعها لتقبّل قبرها . وإن توجّهتُ إلى الكنيسة ورأيت بناءها الحجرىّ المقدس ، خطرت على التوّ فى بالى صورة الصخور الخطرة التى ما تمسّ جانب سفينتى الرقيقة حتى تتبعثر كافة التوابل فيهاعلى سطح البحر ، وتتخذ الأمواج الصاخبة من أقمشتى الحريرية رداء لها ، وأتحوّل - باختصار شديد ، وفى مثل لمح البصر - من إنسان ثرىّ إلى رجل لا يملك شيئًا . فإن كان بالوسع أن أفكر فى هذا ، فبالوسع أيضًا أن أتصوّر أن يكون تحقّق هذه المخاوف كفيلاً بأن يحزننى . . فلا تجادلانى إذن : فأنا واثق من أن سرّ حزن أنطونيو هو قلقه على تجارته .

أنطونيو : صدقنى حين أنكر هذا . فمن حسن حظى أنى لم أودع كل ثروتى فى سفينة واحدة ، ولا وجّهتها إلى مكان واحد ، بل ولا هى مرتبطة بأسرها بمصير تجارتى هذا العام وحده . ولهذا فإنه ليس صحيحًا أن مصدر حزنى هو القلق على تجارتى .

سولانيو : فأنت عاشقٌ إذن .

أنطونيو : محض هراء .

سولانيو : لا القلق على التجارة ولا العشق ؟ فلنقل إذن إنك حزين لأنك غير سعيد، تمامًا كما نقول لو أنّا رأيناك تضحك وتقفز فى الهواء إنك سعيد لأنك غير حزين . . فبحقّ الإله يانوس ذى الوجهين [2] ، لقد خلقت

---

(١) السفينة أندرو (أو سان أندريز) سفينة أسبانية ضخمة استولى عليها الإنجليز فى يونيو ١٥٩٦ ، أثناء هجوم مفاجئ لهم على ميناء قادس .

(٢) يانوس : أحد كبار الآلهة فى الميثولوجيا الرومانية ، ومن اسمه اشتُقَّت تسمية الشهر الأول من =

الطبيعة فى مسارها أناسًا غريبى الأطوار ؛ بعضهم يظل دومًا يتطلّع إلى الزمّار وقد ضَيَّقَ من أعينهم الضحك ، فيقهقه قهقهة الببغاء ، وبعضهم ذو سحنة كئيبة لا يفترّ وجهه عن ابتسامة تُرينا أسنانه ولو أقسم له نستور [1] أن النكتة ظريفة .

(يدخل بسانيو ، ولورينزو ، وجراشيانو)

ها هو قريبك النبيل بسانيو ومعه جراشْيانو ولورينزو . . وداعًا إذن ، ونتركك الآن مع صحبة أفضل .

ساليريو : كنت أودّ لو بقيت معك حتى أبدّد حزنك ، لولا وصول هؤلاء الأصدقاء الأكثر جدارة منى .

أنطونيو : جدارتك عظيمة عندى . غير أنى أدرك أن شئونكما الخاصة تدعو كما إليها، فانتهزتما الفرصة للانصراف .

ساليريو : صباح الخير ياسادة .

بسانيو : متى نلتقى ثانية أيها السيدان فنلهو ونضحك ؟ لابد من تحديدكما لموعد ، فقد صرتما كالغريبين ، وهو ما لا أجد مبررًا له .

ساليريو : سنحاول التوفيق بين أوقات فراغنا وأوقات فراغكم .

(يخرج ساليريو وسولانيو)

لورينزو : والآن ياسيدى بسانيو ، حيث أنك قد عثرت على أنطونيو فسنتركك . غير أنى آمل أن تتذكر مكان تلاقينا وقت العشاء .

بسانيو : لن أتخلّف عن لقائكما .

= شهور السنة (يناير) . وتصوّره التماثيل رجلاً ملتحيًا ذا وجهين يتطلّعان إلى جهتين متقابلتين : وجه باسم ووجه عابس . وهما وجهان يمثّلان عند شكسبير الملهاة والمأساة .

(١) نستور : من شخصيات ملحمة « الإلياذة » ، صوّره هوميروس فيها رجلاً مسنًا مهيبًا شديد الوقار ، غزير الحكمة .

جراشيانو : لا تبدو صحتك على ما يرام ياسيد أنطونيو . . فأنت تأخذ الدنيا على محمل الجدّ أكثر مما ينبغى ، ومن يشغل باله بها لم يجْنِ مُتَعَها . . صدّقنى، لقد طرأ عليك تغير رهيب .

أنطونيو : إنما آخذ الدنيا يا جراشيانو كما ينبغى أن تؤخذ الدنيا : باعتبارها مسرحا يلعب عليه كل إنسان دوره ، ودورى فيها هو دور رجل حزين .

جراشيانو : إئذن لى إذن بأن ألعب دور المهرج . فلتصبنى تجاعيد الشيخوخة ، ولكن بفضل اللهو والضحك . فإنى لأفضّل أن يتأثر كبدى بحرارة النبيذ على أن تبرّد قلبى تنهّدات الأسى . إذ ما الذى يدعو إنسانًا يجرى الدم دافئًا فى عروقه إلى الجلوس جلسة تمثال من الرخام لأحد أجداده ، وإلى النوم فى حال اليقظة ، والسماح لداء الصفراء بأن يصيبه من جرّاء اكتئابه ؟ إسمعنى يا أنطونيو . إنى أحبك . وحبى لك هو ما يدفعنى إلى أن أقول ما سأقوله : ثمة صنف من الناس تعلو الجهامة وجوههم كما يعلو الزَّبَدُ سطح البركة الراكدة ، ويصرّون على التزام الصمت حتى ينسب الناس إليهم الحكمة والوقار والفكر العميق ، ولسان حال الفرد منهم يقول : « إنما أنا الوحى الإلهى ، فإن فتحت فمى للكلام فلتحجم الكلاب عن النباح ! » . . . آه يا أنطونيو ! إنى لأعرف أناسا لم يشتهروا بالحكمة إلا لامتناعهم عن الحديث . وإنى لَجِدُّ واثق من أنهم لو تكلموا لَنَعَتَهُم مستمعوهم بالغباء . . سأؤجل المزيد من حديثى هذا إلى وقت آخر . ولكنى أناشدك ألا تستخدم حزنك هذا فى إحراز هذه السمعة سهلة الصيد . . . هيا يالورينزو ، وتمنياتى الطيبة حتى نلتقى ، فأختم مناشدتى لك بعد العشاء .

لورينزو : نتركّكما إذن إلى وقت العشاء . . لابدّ أننى أحد هؤلاء الحكماء الصامتين حيث أن جراشيانو لا يترك لى فرصة للحديث !

جراشيانو : ولو صحبتنى عامين آخرين لنسيتَ وقعَ صوتك !

أنطونيو : إلى الملتقى . وسأغدو ثرثارا بفضل حديثك .

جراتيانو : شكرًا جزيلاً . فالصمتُ لا يُحْمد إلا من لسانٍ يؤكل، أو امرأة عانس !

(يخرج جراشيانو ولورينزو)

أنطونيو : أفى قوله هذا غير الهراء ؟

بسانيو : حديث جراشيانو يحوى دائمًا قدرًا لا نهاية له من الهراء لا يدانيه فيه أىّ رجل فى البندقية بأسرها . فأما ما قد يحويه كلامه من معان فأشبه بحبّتين من القمح فى جوالين من التِّبن ، تبحث عنهما طيلة اليوم حتى تجدهما ، فإن وجدتهما تبيّن لك أنهما لا تستأهلان البحث عنهما !

أنطونيو : حسنا . فلتخبرنى الآن عن السيدة التى تعتزم الحجّ إليها سرّا ، والتى وعدتنى اليوم بالحديث إلىّ فى شأنها .

بسانيو : لا يخفى عليك يا أنطونيو أننى بدّدت معظم ثروتى بالتبذير على نمط معيشة لا تسمح باستمراره مواردى المحدودة . . ولا أشكو الآن من اضطرارى إلى تخفيض إنفاقى الضخم ، وإنما أجد شاغلى الأكبر هو كيف أخلّص نفسى ، وبأسلوب شريف ، من الديون الباهظة التى لا تزال تثقلنى بسبب إسرافى فيما مضى . . فأما معظم ديونى ـ ومعظم مودتى أيضًا ـ فأنا مدين بهما لك يا أنطونيو . ومودّتك تسمح لى بأن أكشف لك عن كل خططى ونواياى بصدد كيفية تسديد كافة ديونى .

أنطونيو : أناشدك يابسانيو أن تحيطنى علما بها . فإن كان طابعها الشرف شأن صاحبها دائمًا ، فلتثق فى أن جيبى ، وشخصى ، وأقصى جهدى ، ستكون رهن إشارتك .

بسانيو : كنتُ وأنا بعدُ طالبًا إذا رميتُ بسهم ثم لم أعثر عليه ، أُطلق سهما مثله فى نفس الاتجاه ، وأراقبه مراقبة أدقّ حتى أعرف مكان الآخر ، فإذا بمخاطرتى بالإثنين تؤدّى إلى عثورى على الإثنين . فإن كنت أذكر هذه الخبرة من خبرات الطفولة ، فما ذاك إلا لأن ما سأقوله الآن يتّسم بنفس السذاجة

البريئة . . إننى مدين لك بالكثير . وهذا الكثير قد أضعتُه بسبب نزق الشباب . غير أنك إن تفضّلتَ بتصويب سهم آخر فى نفس الاتجاه الذى صوّبت فيه سهمك الأول ، فلاشك عندى فى أنى ، إذ أرصد الهدف بعناية ، إما سأعثر على السهمين معًا ، أو سأردّ الثانى إليك وأظل مدينًا لك بالأول مع اعترافى بفضلك .

أنطونيو : أنت تعرفنى جيدًا . ومع ذلك فها أنت تضيّع وقتك باللف والدوران حول مودّتى ، وتسئ إلىّ بتشكّكك فى أنى سأبذل كل ما فى وسعى لمساعدتك، أكثر مما تسئ إلىّ لو أنك بدّدت ثروتى بأكملها . . فلتقتصر على ذكر ما ينبغى علىّ أن أفعله ، وما ترى أن بإمكانى تقديمه ، وسأقدّمه لك . لتقل إذن .

بسانيو : فى مدينة بلمونت سيدة ورثت ثروة طائلة . . هى جميلة ، بل أجمل من كلمة « الجمال » ذاتها ، وتتحلّى بشمائل خلاّبة . . تلقّيتُ فيما مضى من عينيها رسائل صامتة . فأما اسمها فبورشيا ، علما بأنها لا تقل فى القدر عن بورشيا ابنة كاتو وزوجة بروتس . . العالم بأسره يعرف قدرها هذا ؛ فالرياح الأربع تأتى إليها من كافة الشّطئان بخُطّاب مرموقين . وأما غدائرها الشقراء فتتهدّل على جانبى وجهها كالجُزّة الذهبية ، مما جعل مقرّها فى بلمونت بمثابة ساحل كولشيس يتردّد عليه الكثيرون من أمثال ياسون فى طلبها [1] . . آه يا أنطونيو ! ثمة إحساس قوىّ لدىّ بأننى لو كنت أملك من المال ما يضمن لى مكانا بين هؤلاء المتنافسين عليها ، لكُتب لى النجاح ، ولكنتُ دون شك فى عداد المحظوظين .

أنطونيو : أنت تعلم أن ثروتى بأسرها هى الآن فى البحر ، وما عندى الآن من المال

---

(١) ياسون : هو فى الأسطورة الإغريقية قائد فريق من أبطال اليونان أقلعوا فى السفينة « أرجو » لاستعادة الجُزّة الذهبية من ساحل كولشيس على البحر الأسود ، ونجحت مهمتهم بفضل مساعدة ميديا أميرة كولشيس لهم ضد أبيها .

أو السلع ما يكفى لتوفير المبلغ المطلوب . فامض إذن ، وحاول أن تحصل فى البندقية على أكبر قرض ممكن بضمانتى ، حتى تهيئ نفسك للتوجّه إلى بورشيا الحسناء فى بلمونت . . امض لتوّك للاستفسار ، وهو ما سأفعله أنا أيضًا . ولاشك عندى فى أننا سنحصل على القرض ، إما بفضل ضمانتى أو ما يكنّه لى البعض من الودّ .

المشهد الثانى

بلمونت

(تدخل بورشيا مع وصيفتها نيريسّا)

بورشيا : صدّقينى يانيريسا ، لقد أضحى جسمى الضئيل ضجرًا بهذا العالم الكبير.

نيريسا : أصدّقك ياسيدتى الرقيقة لو أن دواعى بؤسك كانت فى كثرة دواعى سعادتك . غير أن التجربة علّمتنى أن التُّخْمة قد تصيب صاحبها بألم لا يقل حدّة عن الألم الذى يصيب الجائع . ولذا فإنه من البيّن أن المرء يكون فى أسعد أحواله إن كان بين بين . فإن كان الثراء الفاحش يعجّل بمقدم الشيخوخة ، فإن التوسّط بين الثراء والفقر يطيل الأعمار .

بورشيا : حِكَم جميلةٌ أحسنتِ التعبير عنها .

نيريسا : هى أحسن لو التزم بعض الناس بها .

بورشيا : لو كان صُنع الخير فى سهولة معرفة الخير لكان المُصَلَّى الصغير بمثابة الكنيسة الضخمة ، وأكواخ المساكين فى مصاف قصور الأمراء . . صحيح أن خير الوعّاظ من ألزم نفسه بمواعظه ، غير أنى أجد من الأسهل علىّ أن أبيّن لعشرين شخصًا سبل الخير ، من أن أكون واحدًا من هؤلاء العشرين فأسير فى السبيل الذى نصحتُهم بانتهاجه . . قد يسنّ العقلُ القوانين للدم ، غير أن المزاج الحامى يقفز فيتخطى القانون البارد ، كما يفعل الأرنب الجبلى فى الربيع ، والشباب الطائش فى ربيع العمر ، إذ

يقفزان فوق حبائل النصائح الحكيمة التى ينصبها الشيوخ الكسيحون . بيد أن مثل هذه النصائح لن تساعدنى على اختيار زوج لى . ربّاه ! ما أثقل كلمة « الاختيار » على قلبى ! فلا أنا حرّة فى اختيار من رضيتُه لنفسى ، ولا فى رفض من لا أطيقه . إذ هكذا باتت إرادة فتاة على قيد الحياة خاضعة لإرادة أبيها المتوفّى . . ألا ترين معى يانيريسا أنه من المؤلم حقًا أن أُحرم من حق اختيار من أريد قبوله ، أو رفض من أريد رفضه ؟

نيريسا : قد كان أبوك دَوْما رجلاً فاضلاً . والفضلاء ساعة احتضارهم ينير الإلهامُ بصائرهم . ولذا فإنه لاشك فى أن القُرعة التى ابتدعها فى هذه الصناديق الثلاثة من الذهب والفضة والرصاص ، بحيث ينالك زوجة له من يقع اختياره على صندوق معين ، لن ينجح بصددها إلا من يحبك حبّا حقيقيًا . . ولكن ، خبرينى عن حقيقة مشاعرك تجاه أولئك الأمراء الذين وصلوا بالفعل إلى بابك يطلبون يدك .

بورشيا : أذكرى لى أسماءهم واحدًا إثر واحد فأصفه لك ، ومن وصفى له سيكون بوسعك أن تخمّنى مشاعرى نحوه .

نيريسا : هناك أولا ذلك الأمير من نابولى .

بورشيا : أجل . ذلك الذى لا يَفْضُلُ عقلُه فى واقع الأمر عقلَ المُهْر الصغير . فهو لا يتكلم إلا عن حصانه ، ويحسب من أعظم فَضائله قدرتَه على تركيب حدوة له بنفسه ، حتى لكأنما حملت به السيدة والدته من حدّاد .

نيريسا : وهناك الأمير الإقطاعى .

بورشيا : لا يعرف وجهه غير العبوس ، فكأنما لسان حاله يقول : « إن لم تختارينى فلا يهمنى أىّ إنسان تختارين » . . يسمع النكات فلا يبتسم ، ولو طال به العمر لأضحى كالفيلسوف الباكى [1] ما دام قد اختار فى شبابه الحزن

---

(١) هو الفيلسوف الإغريقى هرقليطس الإفسوسى .

الذى لا يناسب سنّه . . إنى لأفضّل أن أتزوج من جمجمة فى فمها عَظْم على أن أقترن بأىّ من هذين الرجلين ، وقانى الله شرّهما .

نيريسا : فما قولك فى النبيل الفرنسى ، مسيو لوبون ؟

بورشيا : ما دام من خلق الله فلابدّ أن نفترض أنه إنسان . . أنا أعلم أن السخرية رذيلة . غير أن هذا الرجل . . آخ ! لديه حصان أفضل من حصان أمير نابولى ، ووجه أشدّ عبوسا من وجه الأمير الإقطاعى . . هو كلُّ الرجال دون أن يكون رجلاً بعينه . إن صدح الطير بالغناء شرع لتوّه يرقص ، وإن لمح ظلّه شهر سيفه ليبارزه . . ولو أنى تزوجته لظننت أن لى عشرين زوجًا . إن احتقرنى غفرت له احتقاره ، غير أنه إن هام بحبى لما كان بمقدورى أن أبادله حبًا بحب .

نيريسا : فما قولك فى البارون الإنجليزى الشاب فالكونبريدج ؟

بورشيا : تعلمين أنى لا أكلمه لأنه لا يفهم لغتى ولا أفهم لغته . فهو لا يتحدث اللاتينية أو الفرنسية أو الإيطالية ، وبوسعك أن تقسمى فى المحكمة وأنت آمنة أن إنجليزيتى لا قدر لها ولا قيمة . . مظهره لا غبار عليه ، غير أنه ما من أحد ، للأسف ، بمقدوره أن يحادث دمية . . ما أغربه من زىّ يرتديه ! أحسبه قد اشترى سترته الضيقة من إيطاليا ، وسرواله المنتفخ من فرنسا ، وقبعته من ألمانيا ، واقتبس سلوكه من كل مكان .

نيريسا : فما رأيك فى جاره اللورد الاسكتلندى ؟

بورشيا : أراه بارًا بجاره ، فقد تفضّل عليه الإنجليزى بلكمة على أذنه ، فأقسم الاسكتلندى أن يردّ إليه الجميل متى استطاع إلى ذلك سبيلاً . وأظن أن الفرنسى تلقّى من الإنجليزى لكمة مماثلة ، فما فعل غير أن تعهّد بردّها إليه .

نيريسا : وما فكرتك عن الشاب الألمانى ، ابن شقيق دوق سكسونيا ؟

بورشيا : فكرتى عنه أنه فظيع فى الصباح قبل أن يسكر ، وفظيع جدًا وقت العصر حين يسكر . هو فى خير حالاته أقل من إنسان ، وفى شر حالاته شبيه

بالحيوان . وإنى لآمل مهما تأزّمت الأمور معى أن أتمكن من أن أنجو بنفسى من براثنه .

نيريسا : لو أنه رضى بالاختيار بين الصناديق ، واختار الصندوق الصحيح ، لكان رفضك إياه رفضًا لتنفيذ وصية أبيك .

بورشيا : ولهذا السبب ، وخشية أن يقع المحظور ، أناشدك أن تضعى كأسا مترعة من نبيذ الراين فوق صندوق خاسر . فأنا واثقة من أنه لو كان الشيطان داخل الصندوق ، وإغراء النبيذ خارجه ، لاختار النبيذ . وإنى لعلى استعداد يانيريسا أن أُقدم على أية فعلة غير الزواج من إسفنجة .

نيريسا : ليطمئن بالك ياسيدى فلن تضطرى إلى الزواج بأى من هؤلاء النبلاء . لقد أحاطونى علما بنواياهم ، وهى أن يعودوا إلى أوطانهم ، وألا يزعجوك بمزيد من الإلحاح ، ما لم يكن ثمة سبيل إلى نيلك غير السبيل الذى فرضه والدك ، وهو الاختيار بين الصناديق .

بورشيا : لو أنى عشتُ حتى بلغتُ سن سيبيلا [1] ، لفضّلت أن أموت وأنا فى عفّة ديانا [2] على أن أرتضى لنفسى زوجا على غير الطريقة التى أوصى بها أبى . . إنى لسعيدة إذ أرى هذا الجمع من الخطّاب على هذا القدر من التعقل ، إذ ليس من بينهم إلا من سيبهجنى رحيله . وسأدعو الله لهم برحلة آمنة .

نيريسا : هل تذكرين ياسيدتى رجلاً من البندقية ، هو عالم وجندى فى آن واحد ، زارنا أيام كان أبوك حيًا فى رفقة الماركيز مونتفيرا ؟

بورشيا : أجل ، أجل . إنه بسانيو ! . . . أو هكذا أظنه كان يُدعَى .

نيريسا : بالضبط ياسيدتى . إنه من بين كل الرجال الذين رأتهم نيريسا الحمقاء أجدر القوم بسيدة عظيمة .

---

(١) سيبيلا : هى فى الأساطير اللاتينية نبيّة وعدها الإله أبولّو بحياة فى طول عدد ذرات الرمل فى قبضة يدها .

(٢) ديانا : إلهة العفة فى الأساطير اللاتينية ، وتقابلها أرتيميس فى الأساطير الإغريقية .

بورشيا : أذكره جيدًا ، وأذكره جديرًا بمديحك .

(يدخل خـادم)

ما الخبر ؟

الخـادم : الغرباء الأربعة يامولاتى يلتمسون مقابلتك لتوديعك . وقد وصل رسول من شخص خامس هو أمير مراكش ، يقول إن مولاه الأمير سيصل الليلة إلى هنا .

بورشيا : لو كان بوسعى أن أرحب بالخامس وأنا فى مثل فرحى بتوديع الأربعة الآخرين ، لأسعدنى مقدمه . أما إن كانت له طباع القديسين وملامح الشياطين ، فإنى لأفضل أن يكون القسَّ الذى أعترف له ، على أن يكون الشخص الذى سأقترن به . . هيا بنا يانيريسا ، ولتمضِ أنتَ أمامنا . . لا نكاد نودّع خاطبًا إلا جاء آخر يقرع بابنا !

(يخـرجـون)

المشهـد الثالث

البنـــدقيـــة

(يدخل بسانيو وشايلوك اليهودى)

شايلوك : ثلاثة آلاف دوقية [1] ؟ هممم .

بسانيو : أجل ياسيدى . ولمدة ثلاثة أشهر .

شايلوك : لمدة ثلاثة أشهر . . هممم .

بسانيو : وسيكون أنطونيو كما أخبرتك ضامن سدادها .

شايلوك : وأنطونيو ضامن سدادها . . هممم .

بسانيو : أَبِوُسْعِكَ مساعدتى و إرضاء خاطرى ؟ ما قولك ؟

شايلوك : ثلاثة آلاف دوقية ، لمدة ثلاثة أشهر ، وأنطونيو ضامن سدادها .

بسانيو : ما ردّك ؟

شايلوك : أنطونيو لا بأس به .

بسانيو : أبلغ مسمعك عكس ذلك ؟

شايلوك : لا لا لا لا . أقصد من قولى « لا بأس به » هو أن تفهم أننى أقصد أن

---

(١) الدوقية : عملة ذهبية فى البندقية . ومعناها الحرفى عملة الدوق . وكانت الثلاثة آلاف دوقية تعادل سبعمائة جنيه استرلينى ، وهو ما كان يعتبر مبلغًا ضخمًا فى ذلك الحين .

ضمانته كافية . . غير أن ثروته افتراضيّة . فله سفينة تتجه إلى طرابلس الشام ، وأخرى صوب جزر الهند الغربية ، وعلاوة على ذلك فقد عرفت فى الريالتو[١] أن له ثالثة فى المكسيك ، ورابعة تتجه إلى إنجلترا ، وسفنا أخرى بعثرها هنا وهناك . غير أن السفن ما هى إلا ألواح ، والبحارة ما هم إلا رجال . وثمة فئران فى البر وفئران فى البحر ، ولصوص فى البحر ولصوص فى البر (أعنى القراصنة) . وثمة أيضًا أخطار تتمثل فى الأمواج والرياح والصخور . . ومع ذلك فإن الرجل ضمانته كافية . . ثلاثة آلاف دوقية . أظن أنى قد أقبل الصك .

بسانيو : ثق فى أن بوسعك قبوله .

شايلوك : الثقة مطلوبة . ولكى تتوفر الثقة سأفكر فى الأمر . . هل يمكننى أن أتحدث مع أنطونيو ؟

بسانيو : إن شئت أن تتعشى معنا . . . .

شايلوك : نعم ، حتى أشم رائحة الخنزير وآكل من لحم هذا الحيوان الذى أدخل نبيّكم الناصريّ الشيطان فيه [٢] . . إنى لعلى استعداد لأن أشترى منكم، وأبيع لكم ، وأتحدث إليكم ، وأمشى معكم ، إلى آخره ، غير أنى لست على استعداد لأن آكل معكم ، أو أشرب معكم ، أو أصلى معكم . . ولكن ما أخبار الريالتو ؟ ومن ذا القادم صوبنا ؟

(يدخل أنطونيو)

بسانيو : ها هو السيد أنطونيو .

شايلوك : (جانبا) ما أشبهه بالعشّار الذليل[٣] ! إنى أكرهه لأنه مسيحى . غير

(١) الريالتو : بورصة البندقية ، وكانت مبنى ضخما يجتمع فيه تجار البندقية وأشرافها مرتين فى اليوم الواحد .

(٢) نبيكم الناصرى : يقصد المسيح ، وهو من بلدة الناصرة . وقد ورد فى إنجيل متى (الإصحاح الثامن) أن المسيح أخرج الشياطين من مجنونَيْن ونقلها إلى قطيع من الخنازير .

(٣) قصته فى إنجيل لوقا (١٨ : ٩ ـ ١٤) ، وفيها مقارنة بين تواضعه وإحساسه بذنبه ، وبين صلَف الفريسىّ (الشبيه بشايلوك) وافتخاره بصومه وتديّنه . . . والعشّار : جامع الضرائب .

أنى أكرهه أكثر إذ أراه بسذاجته وتواضعه يُقرض المال بدون فوائد ، فيقلّل مما نجنيه من الرِّبا هنا فى البندقية . فلو أنى تمكنت من استغلال عثرة واحدة منه ، لنفّست عن حقدى القديم عليه . . إنه يكره أمتنا المقدسة ، وحتى هنا ، حيث التجارة فى ذروة نشاطها ، أراه يسخر منى، ومن صفقاتى ، ومن مهارتى العريقة فى الحصول على ما يدعوه بالربا . فاللعنة على قبيلتى إن أنا غفرتُ له !

بسانيو : شايلوك ! أتسمعنى ؟

شايلوك : أفكر فى وضعى المالى الراهن . وأظننى ـ إن لم تخنّى ذاكرتى ـ غير قادر على أن أوفّر لك على الفور مبلغ الثلاثة آلاف دوقية . . غير أن هذا لا يهم . فطوبال ، وهو عبرانى ثرىّ من قبيلتى ، يمكنه أن يمدّنى بالمال . ولكن، بعدَكَمْ شهر تنوى ردّ المبلغ ؟ (لأنطونيو) طاب يومك ياسيدى الكريم . لقد كان اسم فخامتك على لساننا هذه اللحظة .

أنطونيو : رغم أننى ياشايلوك لا أتقاضى ولا أدفع فائدة حين أقترض أو استدين ، فسأخرق القاعدة لأوفّر لصديقى احتياجاته الملحة . (لبسانيو) هل أخبرته بالمبلغ الذى تريده ؟

شايلوك : نعم ، نعم . ثلاثة آلاف دوقية .

أنطونيو : ولمدة ثلاثة أشهر .

شايلوك : آه . قد نسيت . ثلاثة أشهر . (لبسانيو) قد أخبرتنى بذلك . حسنًا ، هات صكك إذن ، ودعنى أفكر . . ولكن ، إسمع ، أظنك قلت إنك لا تتقاضى ولا تدفع فائدة .

أنطونيو : لا أتعامل مع الفائدة قط .

شايلوك : حين كان يعقوب يرعى غنم خاله لا بان ، وكان يعقوب هذا ـ بفضل تدخّل أمه الحكيمة ـ قد أضحى الوريث الثالث لسيدنا إبراهيم ، أجل، الثالث . . .[١]

(١) سفر التكوين : الإصحاح السابع والعشرون .

أنطونيو : ماذا عن يعقوب ؟ هل كان يتقاضى فائدة ؟

شايلوك : لا . لم يكن يتقاضى فائدة ، أعنى أنه لم يكن يتقاضاها بصورة مباشرة . . . إسمع ما صنعه يعقوب . . حين اتفق هو ولا بان على أن يكون أجر يعقوب كل ما يولد من خراف رقطاء وبلقاء ، ثم حلّت نهاية الخريف وحميت شهوة النعاج إلى الكباش ، وبدأت عملية التزاوج بين هذه الخراف ذات الصوف الغزير ، أخذ هذا الراعى الأريب يعقوب قضبانًا خُضرًا فقشر فيها خطوطًا بيضاء ، وعرضها أثناء عملية التزاوج أمام أعين النعاج القوية فتوحّمت عليها ، وتمخّضت وقت الولادة عن حملان متعددة الألوان دخلت فى ملك يعقوب [1] . . كذا كان سبيله إلى تنمية ثروته ، وهو الرجل المبارك . فالثروة دون ريب نعمة ، ما لم يسرقها الناس .

أنطونيو : لقد كان يعقوب ياسيدى يعمل ويكدّ فى هذا المشروع [2] ، وما كان باستطاعته أن يحقق النتائج التى حققها إلا بفضل الله وإرادته . . فهل رويت لنا القصة من أجل تبرير الفائدة ، أم أن ذهبك وفضتك خراف ونعاج ؟

شايلوك : لا أدرى . غير أنى أجعلها تتوالد وتتكاثر بنفس السرعة . . ولكن ، لتصغ إلىّ ياسيدى . . .

أنطونيو : (لبسانيو جانبا) لاحظ يابسانيو كيف أن بوسع الشيطان أن يستشهد بالكتاب المقدس لدعم أغراضه . وما الروح الشريرة التى تلوّح باستشهادات دينية إلا كالوغد ذى الابتسامة على خديه ، أو كالتفاحة العفنة ذات المظهر الجميل . . ألا ما أجمل المظهر الخارجى للزور والكذب !

---

(١) وردت قصة خراف يعقوب ولا بان فى سفر التكوين (الإصحاح ٣٠) . وكان الاعتقاد هو أن الوليد يأتى شبيها بما تقع عليه عينا أمه أثناء علمية التزاوج .

(٢) كان الاعتراض الشائع على الربا هو أنه يحقق الكسب دون جهد مقابل .

شايلوك : ثلاثة آلاف دوقية . . إنه مبلغ كبير . . ولمدة ثلاثة أشهر من اثنى عشر شهرًا . . دعنى أنظر . . وأما الفائدة . .

أنطونيو : أبوسعنا إذن أن نعتمد عليك ياشايلوك ؟

شايلوك : سيدى أنطونيو . مرارًا وتكرارًا عيّرتنى فى الريالتو بسبب ثروتى وما أتقاضاه من الربا . ومع ذلك فقد تحمّلتُ الإهانات فى صبر ، فالصبر شعار قبيلتنا بأسرها . . نعتّنى بالكفر ، وبأنى كلب سفاح ، وبصقت على زىّ اليهودى ، دون ما سبب غير استثمارى لأموالٍ هى ملكى . . حسنا إذن . والآن يبدو وكأنك فى حاجة إلى مساعدتى . . دعنى منك ! تأتينى وتقول : « شايلوك ، نريد مالا » . تقول لى هذا وأنت الذى بصقت لعابك على لحيتى ، ورفستنى رفسك للكلب الضال عند عتبة دارك . . تريد مالا . فما عساى أن أقوله لك ؟ أليس من واجبى أن أقول : « وهل للكلب مال ؟ أيَعقل أن يكون بوسع الكلب إقراض ثلاثة آلاف دوقية ؟» أم أن علىّ أن أنحنى لك ، وأن أهمس كالعبد الذليل وبأنفاس متقطعة : « سيدى الكريم ، قد بصقتَ علىّ يوم الأربعاء الماضى ، وركلتنى فى اليوم الفلانى ، ونعتّنى بالكلب تارة أخرى ، ومن أجل كل هذا التعطّف منك ، سأقرضك مالا كثيرًا » ؟

أنطونيو : وما أحسب إلاأنى سأنعتك بهذا مرة أخرى ، وأبصق عليك مرة أخرى ، وأركلك أيضا بقدمى . . فإن أنت أقرضتنى المال فلا تقرضه لى إقراض الصديق للصديق . إذ متى كان الصديق يطالب صديقه بسلالة معدن عقيم ؟ [1] ولكن أقرضها لى إقراضك لعدوّ ، إن هو أفلس طالبتَ بتوقيع العقوبة عليه وأنت مرتاح الصدر .

شايلوك : ما كل هذا الغضب ؟ إننى أريد صداقتك ، وأطمع فى حبك ، وأتناسى الإهانات التى وجّهتَها إلىّ ، وأوفّر لك احتياجاتك الراهنة ، ولا أطالبك

---

(١) الكلمة اليونانية الدالة على « الفائدة » تعنى أيضًا « النسل » ، وكأن المال يتناسل ويلد شبيها به .

بفلس واحد كفائدة لنقودى ، وأنت لا تريد الإصغاء إلىّ . . إنه إكرام منى لك .

بسانيو : هو عرض كريم .

شايلوك : وسأبرهن على كرم نواياى . . تعال معى إلى محرّر العقود ، ولتوقّع هناك عقدًا غير مشروط ، ولنذكر فيه على سبيل المزاح أنك إن لم تدفع فى الموعد المحدد ، وفى المكان المحدد ، المبلغ أو المبالغ المحددة فى شروط العقد ، كان الجزاء رطلاً لا يزيد ولا ينقص من لحم جسمك البضّ ، أقتطعه وآخذه من أىّ جزء أختاره من جسدك .

أنطونيو : موافق بكل تأكيد . . سأوقع على مثل هذا الصك وأقول إن اليهودى كريم جدًا .

بسانيو : لن توقع على مثل هذا الصك من أجلى . وإنى لأفضل البقاء فى ضائقتى على ارتضائك مثل هذا الشرط .

أنطونيو : لا تخش شيئًا يارجل ، فلن أتخلّف عن الوفاء بالدين . ففى ظرف الشهرين القادمين ، أى قبل حلول أجل الوفاء بالدين بشهر كامل ، أتوقع وصول أرباح هى ثلاثة أضعاف قيمة هذا الصك .

شايلوك : يا أبانا إبراهيم ! أى أناس هؤلاء المسيحيون الذين تدفعهم قسوة معاملاتهم إلى الشك فى نوايا الآخرين ! أرجوك أن تجيب على سؤالى : لو أنه لم يوف بتعهده فى الموعد المحدد ، فما الذى سأكسبه من وراء توقيع الجزاء ؟ إن رطل لحم بشرىّ يؤخذ من جسم إنسان هو أقل قيمة ونفعًا من لحم الضأن والبقر والماعز . . إنى بهذه الصفقة أمدّ يد الصداقة إليه علّنى أحظى برضائه . فإن وافق عليها فبها ، وإلا فالوداع . وأرجوك ، من أجل خاطرى ، ألا تسىء فهمى .

أنطونيو : نعم ياشايلوك ، سأوقّع على الصك .

شايلوك : فلنتقابل بعد قليل إذن لدى محرر العقود . لتصدر إليه التعليمات بشأن هذا الصك الفكاهى . أما عنى فسأمضى لتوّى لإحضار المبلغ ، وأعاين

أحوال منزلى الذى تركته فى حراسة خادم مهمل ، ثم ألحق بك بعد قليل . (يخرج)

أنطونيو : أسرع إذن أيها اليهودى الطيب . . سيتحول اليهودى إلى مسيحى ما دامت الطيبة قد عرفت طريقها إلى قلبه .

بسانيو : لا أطمئن إلى شروط عادلة تصدر عن وغد شرير .

أنطونيو : رويدك يا صاح . فليس بالأمر ما يدعو إلى القلق علىّ . . فقبل شهر من اليوم المحدد ستكون سفنى قد عادت إلىّ . (يخرجان)

الفصـــل الثـــانى

الفصل الثانى

المشهـد الأول

بلمــونــت

(صوت أبواق ـ يدخل أمير مراكش ، وهو مغربىّ أسمر كل ثيابه بيضاء ، يرافقه ثلاثة أو أربعة من الأتباع . . وتدخل أيضًا بورشيا ونيريسا مع بعض الخدم)

أمير مراكش : لا تكرهينى من أجل لون بشرتى ، ذلك اللون الأسمر الذى كستنى به الشمس الساطعة التى أجاورها ونشأتُ بالقرب منها . . ولْتأتنى بأفضل مخلوق من أبناء الشمال حيث لا يكاد يكون بوسع نار الشمس أن تذيب كتل الجليد ، فيتبارى معى من أجل حبك بفصْد دمائنا ، حتى نرى أىَّ الدماء أشدّ حُمرة ، دمه أم دمى . . ولتعلمى ياسيدتى أن وجهى هذا قد أخاف الشجعان ، كما أُقسم بحبى لك أن أجمل العذارى فى بلادنا قد شُغفن بهذا الوجه حبا . وما أنا على استعداد لأن أستبدل بلونى لونا آخر، ما لم يكن ذلك من أجل أن أحظى باهتمامك أى مليكتى الرقيقة .

بورشـــيا : ثمة اعتبارات أخرى تحكم اختيارى غير تفضيل عينىْ الفتاة لهذا الرجل أو ذاك . فالاقتراع على مصيرى يحرمنى من حق الاختيار الحر. غير أنى أقرّ بأنه لو لم يكن والدى قد فرض علىّ هذا القيد ، ولو لم تكن حكمته قد ألزمتنى بقبول الزواج بمن يظفر بى بالطريقة التى حدّثتك عنها ، لكانت فرصتك أنت ، أيها الأمير الشهير ، عظيمة كفرصة أىٍّ ممن وقعت عليه عيناى من بين من قدموا يخطبون ودّى .

أمير مراكش : لك الشكر منى حتى على هذا الردّ . فرجائى أن تقودينى إلى مكان الصناديق حتى أجرّب حظى . وقسما بهذا السيف الذى قتل شاه إيران، وذبح أميرًا فارسيا كان قد انتصر على السلطان سليمان فى ثلاث معارك ، إنى لعلى استعداد من أجل أن أفوز بك ياسيدتى لأن أحملق فى عينى أشد الناس صرامة حتى يردّ طَرْفَه ، وأن أتحدّى أجرأ الناس على ظهر البسيطة ، وأن أنتزع من الدبة صغارها الرُّضَّع ، وأن أهزأ بالأسد وهو يزأر فى طلب فريسته . غير أن ما أراه مؤسفا حقا هو أنه لو تراهن هرقل مع خادمه ليكاس على أن تحدد رمية النّرد أيهما أعظم ، فقد يكون الحظ فى جانب الطرف الأضعف . وهو بالضبط ما حدث ، مما أثار فى هرقل غضبا فى مثل غضبى لو أن إلهة الحظ العمياء أضلّتنى وأنجحت مسعى رجل آخر أقل جدارة منى ، وقضت علىّ بذلك أن أموت كمدا .

بورشيا : لا مفر أمامك من المخاطرة . وعليك إما أن تحجم عن الاختيار ، أو أن تقسم قبله أنك إن فشلت فلن تفاتح سيدة بعدها فى أمر الزواج . . فخذ حذرك إذن .

أمير مراكش : قد قبلت . فهيّا اصحبينى إلى حيث أجرّب حظى .

بورشيا : ستتوجه أولاً إلى المحراب من أجل القسم ، ثم تجرّب حظك بعد العشاء .

أمير مراكش : وليكن الحظ معى فأنعم بالهناء ، وإلا كنت بين الناس طرّا أحراهم بالشقاء !

(صوت أبواق ـ يخرجون)

المشهد الثانى

البندقية

(يدخل لانسلوت جوبّو القرويّ وحده)

لانسلوت : ضميرى سيقرّنى بكل تأكيد على فكرة الهرب من سيدى اليهودى . . الشيطان يغرينى ويهمس فى أذنى قائلا : « جوبو ، لانسلوت جوبو ، أى لانسلوت الطيب » ، أو « أى جوبو الطيب » ، أو « أى لانسلوت جوبو الطيب ، أطلق ساقيك للريح ، تحرّك ، إهرب » . . وضميرى يقول : « لا . خذ حذرك أى لانسلوت الأمين ، خذ حذرك أى جوبو الأمين » أو ، (كما سبق القول) ، « أى لانسلوت جوبو الأمين ، لا تهرب ؛ إصرف النظر عن فكرة إطلاق ساقيك للريح » . أما أشجع الشياطين فيحثنى على الذهاب ، ويقول : « هيّا ! » ، ويقول : «إنطلق! » ، ويقول : « تشجّع بحق السماء ولُذْ بالفرار » . أما ضميرى فيتعلّق برقبة قلبى ويقول لى فى حكمة عظيمة : « حيث أنك ياصديقى الأمين لانسلوت ابن رجل أمين ، أو بالأحرى ، ابن امرأة أمينة ، (فقد كانت لدى أبى ، فى الحقيقة ، بعض النزعات والاتجاهات والميول المريبة) ، يقول ضميرى هذا : « إلزم مكانك يالانسلوت ولا تتحرك !» . فيقول الشيطان : « بل تحرّك » ! ، فيقول ضميرى : « لا تتحرك ! » . عندئذ أقول أنا : « أيها الضمير ، نصيحتك جيدة » ، وأقول : « أيها الشيطان ، نصيحتك جيدة » . ذلك أننى إن أطعت ضميرى بقيت مع

سيدى اليهودي ، وهو ـ والعياذ بالله ـ كالشيطان نفسه . وإن أنا هربت من اليهودى أكون قد أطعت الشيطان ، وهو ـ والعياذ بالله ـ الشيطان بعينه . فالمؤكد أن اليهودى قد تقمّصه الشيطان . وإنى لأشعر فى قرارة ضميرى بأنها قسوة من ضميرى أن ينصحنى بالبقاء مع اليهودى . أما نصيحة الشيطان فأرقّ وأعطف . . لذا فإنى سأهرب أيها الشيطان . سأطلق ساقىّ للريح كما أمرتنى وأهرب .

(يدخل جوبو العجوز حاملاً سلّة)

جـوبـو : سيدى الشاب ، أنت ، أرجوك ، أين الطريق إلى منزل السيد اليهودى ؟

لانسلوت : (جانبا) يا إلهى ! إنه أبى ! أبى من لحمى ودمى ، قد ذهب بصره إلا قليلاً ، إلا قليلاً جدًا ، فهو لا يعرفنى . . سأحاول مداعبته .

جـوبـو : سيدى الشاب ، أرجوك ، دلّنى على الطريق إلى السيد اليهودى .

لانسلوت : عند الناصية القادمة فلتتجه إلى اليمين ، وعند الناصية التالية فلتتجه إلى الشمال ، وعند الناصية بعدها لا تتجه إلى اليمين أو إلى الشمال ، بل اتجه بطريق غير مباشر إلى منزل اليهودى .

جـوبـو : بحق القديسين المباركين إنه لإرشاد يصعب علىّ الاستفادة منه ! هل بوسعك أن تخبرنى ما إذا كان هناك شخص يسكن معه ويدعى لانسلوت لا يزال معه أم تركه ؟

لانسلوت : أتعنى السيد لانسلوت الشاب ؟ (جانبًا) راقبونى الآن فسأجعل عينيه تذرفان الدمع . أتعنى السيد لانسلوت الشاب ؟

جـوبـو : إنه ليس « سيدا » ياسيدى ، وإنما هو ابن رجل فقير . ولكن صدقنى إن قلت لك إن أباه رجل أمين ، شديد الفقر ، ولكنه ـ ولله الحمد ـ ميسور الحال .

لانسلوت : ليكن أباه ما شئت ، ولكننا نتحدث الآن عن السيد لانسلوت الشاب .

جـوبـو : دع فخامتك من « السيد » ولتسمّه لانسلوت .

لانسلوت : لهذا أسألك أيها العجوز ، ولهذا أناشدك أن تخبرنى عما إذا كنت تتحدث عن السيد لانسلوت الشاب .

جـوبـو : بعد إذنك ياسيدى ، إنما أتحدث عن لانسلوت .

لانسلوت : فأنت إذن تعنى السيد لانسلوت . . لا تتحدث ياعمى عن السيد لانسلوت ، فإن ذلك السيد الشاب قد قضت المقادير ، وشاءت إرادة السماء ، وحانت الآجال ، (وغير ذلك مما يردّده أهل العلم من تعابير) ، فقضى نحبه ، أو ، كما يقول التعبير الدارج ، توفى إلى رحمة الله .

جـوبـو : لا سمح الله ! لقد كان الفتى سند شيخوختى ودعامتها .

لانسلوت : فهل ترى هيئتى إذن هيئة هراوة أو عمود أو عصا أو دعامة ؟ هل تعرفنى ياأبت ؟

جـوبـو : واأسفاه ! لا أعرفك أيها السيد الشاب ، غير أنى أناشدك أن تخبرنى عما إذا كان ابنى ـ طيّب الله ثراه ـ حيا أم ميتًا .

لانسلوت : ألا تعرفنى يا أبى ؟

جـوبـو : نظرى ضعيف للأسف ياسيدى ولا يسمح لى بالتعرف عليك .

لانسلوت : وحتى لو كان نظرك قويا فهناك احتمال ألا تعرفنى . فكما يقال فى الأمثال : الحصيف من عرف ابنه . . حسنا أيها الشيخ ، سأزوّدك بالأخبار عن ابنك . (يركع) امنحنى بركتك . فالحقيقة لابد أن تنكشف فى النهاية ، ولابد للجريمة أن ينفضح أمرها . . قد لا ينفضح أمر ابن إنسان لبعض الوقت . غير أن الحقيقة لابد أن تنجلى .

جـوبـو : أناشدك ياسيدى أن تنهض . وأنا واثق من أنك لست ابنى لانسلوت .

لانسلوت : لنتوقف عن هذا العبث ولتمنحنى بركتك . فأنا ابنك لانسلوت الذى كان ، وولدك الذى هو كائن ، وصبيّك الذى سيكون .

جـوبـو : لا يمكننى أن أصدّق أنك ابنى .

لانسلوت : لا أدرى كيف أفهم هذه القولة منك . غير أنى على أى الأحوال لانسلوت خادم اليهودى ، وواثق من أن زوجتك مارجورى هى أمى .

جـوبـو : إسمها هو مارجورى حقا . وإنى لأشهد أنك لو كنت لانسلوت فأنت ابنى من لحمى ودمى . . يا إلهى ! ما أكثف لحيتك [1] ! على ذقنك من الشعر أكثر مما لدى حصانى دوبين منه على ذيله .

لانسلوت : يبدو إذن أن شعر ذيل دوبين ينمو من طويل إلى قصير ! وإنى لواثق من أنه حين شاهدته آخر مرة كان لديه من الشعر على ذيله أكثر مما لدىّ منه على وجهى .

جـوبـو : يا إلهى ! لشدّ ما تغيّرت ! خبّرنى : هل أنت وسيدك على وفاق ؟ لقد أحضرتُ له هدية معى . فهل أنتما على وفاق ؟

لانسلوت : نعم ، نعم . غير أنى وقد قرّ قرارى على الهرب منه ، فلن يقرّ لى قرار حتى تفصل بينى وبينه مسافة . . إن سيدى يهودى قحّ . . وتريد إعطاءه هدية ؟! أعطه حبلا يشنق به نفسه ! إنى أتضوّر جوعا فى خدمته ، وبوسعك أن تعدّ أصابعى بضلوعى . . [2] غير أنى سعيد بحضورك يا أبى . . قدّم هديتك نيابة عنى إلى سيّدٍ يدعى بسانيو . إنه يوزّع على خدمه ملابس جديدة جميلة . فإن لم ألتحق بخدمته فسأهرب من هنا إلى أقصى أرض الله . . آه ! يالها من مصادفة سعيدة ! ها هو الرجل قادمًا ! كلّمه يا أبى بخصوصى . ولأنقلب يهوديا إن مكثتُ فى خدمة اليهودى .

(يدخل بسانيو وليوناردو مع تابع أو اثنين)

بسانيو : يمكنك أن تفعل هذا ، شريطة أن تسرع حتى يكون العشاء جاهزًا فى الساعة الخامسة على أكثر تقدير . أوصلْ هذه الخطابات ، وأصدر

(١) الواضح أن جوبو قد أمسك خطأ بشعر قفا ابنه .
(٢) يقصد « أن تعدّ ضلوعى بأصابعك » .

الأمر بصنع الحلل ، واطلب من جراشيانو أن يحضر فورًا إلى مسكنى .

(يخرج تابع من أتباعه)

لانسلوت : كلّمه يا أبى .

جـوبـو : بارك الله فيك ياسيدى .

بسانيو : ألف شكر . . أتريد شيئًا منى ؟

جـوبـو : هذا ابنى ياسيدى . . فتى فقير .

لانسلوت : لست فتى فقيرًا ياسيدى ، وإنما أنا خادم اليهودى الثرىّ ، وأرغب ياسيدى ـ كما سيوضح لكم والدى ـ فى أن ــــــ

جـوبـو : أو كما يقول البعض ، لديه تلطّع [1] شديد إلى أن يلتحق بخدمة ــــــ

لانسلوت : واختصارًا فإنى خادم لليهودى ، ولدىّ رغبة ، كما سيوضّح لك والدى ، فى أن ــــــ

جـوبـو : ولا تؤاخذنى إن قلت إنه وسيده نادرًا ما يتفقان .

لانسلوت : واختصارًا ، فالحق أن اليهودى قد أساء إلىّ على نحو يدفعنى (كما سيوضّح لك والدى باعتباره رجلا مسنًا) إلى أن ــــ

جـوبـو : ومعى هنا طبق من الحمام أودّ إهداءه إلى فخامتك . . ورجائى هو ــــ

لانسلوت : واختصارًا فإن الأمر يتعلّق علىّ [2] ، كما سيوضّح لفخامتك هذا الرجل المسنّ الأمين . والحقيقة أن أبى بالرغم من سنّه ، ومن فقره ، فهو ــــ

بسانيو : ليتحدّث أحدكما نيابة عن الإثنين . . ما الموضوع ؟

لانسلوت : أريد أن ألتحق بخدمتك ياسيدى .

(١) يقصد : تطلّع .
(٢) يقصد : يتعلق بى .

جـوبـو : وهذا هو جَهْور [1] الموضوع ياسيدى .

بسانيـو : إنى أعرفك جيدًا . وقد أجبتُ طلبك . لقد حدّثنى سيدك شايلوك اليوم وأشاد بك ، وإن كنتُ غير واثق من أنه من مصلحتك أن تترك خدمة يهودى غنى لتلتحق بخدمة سيد فى مثل فقرى .

لانسلوت : إن كان المثل القديم يقول « فى فضل الله الكفاية » ، فهو موزّع بالعدل بينك ياسيدى وبين سيد اليهودى : لديك فضل الله ، ولديه الكفاية .

بسانيـو : أحسنت القول . . (لجوبو) إذهب مع ابنك . (للانسلوت) ودّع سيدك القديم واسأل عن مكان سكنى . (لأحد أتباعه) أعطه كسوة أجمل من كسوة زملائه . هيا !

لانسلوت : لندخل يا أبتِ . . كنتَ تحسب أنى لن أوفّق فى العثور على عمل ؟ أو أن لسانى عاجز عن الإفصاح ؟ (ينظر إلى كفّه) حسنًا !ليس فى إيطاليا كلها رجل تبشّر خطوط كفّه بحظ أعظم مما تبشر به خطوط كفّى ! هَهْ ؟ هذا هو خط الحياة . بسيط غير معقد . . يبشرنى بحفنة صغيرة من الزوجات . للأسف الشديد ، مجرد خمس عشرة زوجة ، وهذا لا يكفى . . إحدى عشرة أرملة ، وتسع أبكار . . عدد لا يكفى رجلاً واحدًا . . وسأنجو من الغرق ثلاث مرات ، وأواجه خطرًا يهدد حياتى من جراء السقوط من فوق سرير وثير . . وهنا مغامرات بسيطة . حسنًا! لئن كان الحظ امرأة فلابد أنها فتاة طيبة تلك التى دبّرت مستقبلى . . هيا بنا يا أبتِ . وسأودّع اليهودى فى مثل لمح البصر .

(يخرج لانسلوت وجوبو)

بسانيـو : أرجوك ياعزيزى ليوناردو أن تهتم بهذا الأمر ، وأن تعود إلىّ مسرعا بعد الفراغ من شراء هذه السلع وترتيبها على ظهر السفينة . فلدىّ هذا المساء مأدبة دعوتُ إليها خيرة معارفى . فامض إذن وأسرع .

---

(١) يقصد : جوهر .

ليونـاردو : سأبذل أقصى جهدى حتى ألبى طلبك .

(يدخل جراشيانو)

جراشيانو : أين سيدك ؟

ليونـاردو : هناك يتمشى يا سيدى . (يخرج)

جراشيانو : سنيور بسانيو !

بســانيو : جراشيانو ؟

جراشيانو : عندى طلب .

بســانيو : قد أجبتك إليه .

جراشيانو : أرجوك ألا ترفضه . أريد الذهاب معك إلى بلمونت .

بســانيو : فستذهب إذن . ولكن ، إسمع منى ياجراشيانو . . إنك طائش أكثر مما ينبغى ، صريح أكثر مما ينبغى ، عالى الصوت أكثر مما ينبغى . وهى صفات لا تبدو عيوبا فى أعين رجال مجموعتنا ، بل ونستملحها فيك . غير أنها فى أىّ جمع آخر لا يعرفك قد تبدو مستهجنة . فرجائى أن تبذل بعض الجهد لكبح جماح طيشك بشىء من الرزانة ، حتى لا يُفسد مسلكُك النزق فكرة الناس عنى فى المكان الذى أقصده ، فتتحطم آمالى .

جراشيانو : إسمعنى ياسنيور بسانيو . لا تأتمنّى بعد اليوم قط إن أنا لم أكلّل بالرزانة مسلكى ، وبالاحترام حديثى ، وإن أنا لم أقلع عن السباب (إلاّ من حين إلى آخر) ، وإن أنا لم أحمل فى جيبى كتب الصلوات ، وإن لم تكن نظراتى وديعة كسيرة ، بل وإن أنا لم أُخْفِ عينىّ هكذا تحت قبعتى أثناء تلاوة الحمد ، متنهّدا وقائلاً « آمين » ، وإن أنا لم أُراعِ كافة ما يقتضيه الأدب ، مراعاة المدرَّب على السلوك الحميد من أجل إرضاء جدّته !

بســانيو : حسنا . سنرى إذن مسلكك .

جراشيانو : مع استثناء هذه الليلة . فرجائى ألا تحكم علىّ من مسلكى هذا المساء .

بســـــانيو : لن أفعل . بل سأستاء لو أنك أحسنت السلوك هذا المساء ، وأناشدك أن تُقدم على أجرأ صنوف اللهو والمرح التى يريدها مَن دَعَوْتُهم من الأصدقاء . . إلى اللقاء إذن ، فلدىّ ما أريد إنجازه .

جراشيانو : وعلىّ أن أذهب إلى لورينزو وسائر الجمع . وسنأتيك وقت العشاء .

(يخرجـان)

المشهد الثالث

البنــــدقيـــــة

(تدخل جيسيكا ولانسلوت)

جيسيـــكا : يؤسفنى أن تترك خدمة أبى على هذا النحو . . فبيتنا ـ وهو الجحيم بعينه ـ كنتَ فيه شيطانا مرحا يخفّف بعض الشىء من عناء الملل . ولكن ، وداعًا . وهاكَ دوقية . . واسمع يالانسلوت : ستقابل الليلة وقت العشاء لورينزو ، وهو ضيف من ضيوف سيدك الجديد . سلّمه هذا الخطاب خفية . . وداعا إذن ، فلا أحب أن يرانى والدى وأنا أتحدث معك .

لانسلوت : وداعا . . دموعى تفصح عما يعجز لسانى عن التعبير عنه . أيتها الوثنية رائعة الحسن ، أيتها اليهودية بالغة الرقة ، أراهنك على أن رجلاً مسيحيا داهية سينصب شباكه لاصطيادك . . ولكن وداعًا . فهذه الدموع الحمقاء تخمد بعض الشىء من رجولتى . . (يخرج)

جيسيـــكا : وداعا أى لانسلوت الطيب . . يالها من خطيئة فظيعة إذ أشعر بالخجل من أن أكون ابنة أبى ! ومع ذلك ، فرغم أنى ابنته من صلبه ، فلست ابنته فى السلوك . . آه يالورينزو ! لو أنك أوفيت بوعدك فسأتخلص من هذه المشاعر المتصارعة القوية ، بأن أعتنق المسيحية وأصبح زوجتك الوفية .

المشهد الرابع
البنـــدقيـــة

(يدخل جراشيانو ولورينزو وساليريو وسولانيو)

لورينـــزو : سنتسلّل خفية وقت العشاء ، ونتنكّر بمسكنى فى زىّ مختلف ، ثم نعود فى خلال ساعة .

جراشـيانو : لم نتخذ بعد الاستعدادات المناسبة .

ســاليريو : ولم نناقش بعد موضوع حملة المشاعل .

ســولانيو : سيكون الأمر كله بشعا لو لم نعدّ له بعناية ، ويضحى من الأفضل لو لم نكن قد شرعنا فيه .

لورينـــزو : لم تتجاوز الساعة الرابعة بعد ، وأمامنا ساعتان كافيتان للاستعداد .

(يدخل لانسلوت يحمل خطابا)

صديقى لانسلوت ! ما الأخبار ؟

لانسلوت : لو تكرمت بفتح هذا الخطاب فستعلم الأخبار منه .

لورينـــزو : أعرف خطّ من هذا . . خط جميل كتبته يد جميلة هى أكثر بياضا من الورقة التى استخدمتها .

جراشيانو : أقسم أنها أخبار غرامية !

لانسلوت : بعد إذنك ياسيدى .

لورينـــزو : إلى أين ؟

لانسلوت : أمضى فأدعو سيدى القديم اليهودى إلى العشاء هذا المساء مع سيدى الجديد المسيحى .

لورينـــزو : انتظر . خذ هذا مكافأة لك ، واخبر جيسيكا الرقيقة أنى سأوفى بوعدى . خبّرها بذلك على انفراد . (يخرج لانسلوت) . هيا انصرفوا أيها السادة لتعدّوا للحفلة التنكرية هذا المساء . وقد اتفقت مع شخص ما ليكون حامل مشعل .

ســاليريو : سأمضى على الفور للإعداد لها .

ســولانيو : وأنا أيضًا .

لورينـــزو : قابلانى وجراشيانو فى مسكنه بعد ساعة من الآن .

ســاليريو : سنفعل ذلك . (يخرج ساليريو وسولانيو) .

جراشيانو : أليست هذه الرسالة من جيسيكا الجميلة ؟

لورينـــزو : علىّ أن أحيطك بالموضوع كله . . لقد كتبت إلىّ بتفاصيل خطّة اصطحابى لها من منزل والدها ، وبما ستأخذه من ذهب ومجوهرات ، وحلّة الغلام التى أعدّتها لنفسها . . أراهنك على أنه لو سمح لوالدها بدخول الجنة لكان ذلك من أجل ابنته الرقيقة . وما أحسب سوء الحظ سيتربص بها فى الطريق إلا بحجة أنها ابنة يهودى كافر . هيا معى . واقرأ هذا الخطاب ونحن فى الطريق . واعلم أن جيسيكا الحسناء هى التى ستكون حاملة مشعل .

(يخرجـان)

المشهد الخامس
البندقية ـ أمام دار شايلوك

(يدخل شايلوك اليهودى والقروى لانسلوت ، خادمه السابق)

شايلوك : حسنا . . سترى بنفسك ، وستحكم عيناك أىّ فارق بين شايلوك العجوز وبسانيو . (ينادى) جيسيكا ! . . لن تجد عنده من الطعام ما يشبع نهمك كما كنت تجد هنا . (ينادى) جيسيكا ! . ولا من النوم والشخير وما تُبلى من الثياب . . (ينادى) جيسيكا !

لانسلوت : (ينادى) جيسيكا !

شايلوك : من أمرك بأن تنادى ؟ أنا لم آمرك بأن تنادى .

لانسلوت : كان من عادة سيادتك أن توبخنى إذ لا أفعل شيئًا ما لم تأمرنى به .

(تدخل جيسيكا)

جيسيكا : أتنادينى ؟ ماذا تريد ؟

شايلوك : أنا مدعوّ إلى العشاء ياجيسيكا . . هاكِ مفاتيحى . . ولكن ، ما الذى يضطرنى إلى الذهاب ؟ إنهم لم يدعونى عن حبّ لى ، وإنما لتملّق . ومع ذلك فسأمضى إليهم ، عن بُغض لهم ، ولأطعم من مائدة المسيحى المبذّر . . جيسيكا ! لتعتنى بالمنزل يابنيتى . . إنى لشديد العزوف عن الذهاب . فثمة أمر شرير يُدَبّر لإزعاجى ، بدليل منامى الليلة الماضية الذى رأيت فيه أكياس أموالى .

لانسلوت : أرجوك أن تذهب ياسيدى . فسيدى الشاب ينتظر وَصْلك [1] .

شايلوك : وأنا أيضا أنتظر وَصْلَه !

لانسلوت : وقد اتفقوا سويا على . . لن أفشى السر فأقول إنك ستشهد حفلاً تنكريا ، غير أنك إن رأيت حفلاً تنكريًا فاعلم أنه لم يكن من قبيل المصادفة أن ينزف أنفى يوم الإثنين التالى لعيد الفصح الماضى فى السادسة صباحًا ، وهو اليوم الذى صادف ذلك العام أن يكون يوم الأربعاء ، أول أيام صوم الأربعين ، فى العام الرابع من ساعة العصر [2] !

شايلوك : أستكون هناك إذن حفلة تنكرية ؟ إسمعى ياجيسيكا . أحكمى غلق أبوابى . فإن سمعتِ صوت الطبل ، وصوت المزمار المزعج الحاد يعزف عليه زمّار قد التوى من النفخ عنقه ، فلا تتسلّقى عندئذ إلى النوافذ ، ولا تطلّى برأسك على الطريق العام حتى تتفرّجى على مسيحيين حمقى يلبسون أقنعة ملوّنة . وإنما أريدك أن تصمّى آذان دارى ، أعنى نوافذها ، فلا تدخل أصوات اللهو الأجوف بيتى الوقور . . أقسم بعصا يعقوب أنى لا رغبة عندى فى التوجه إلى حفل هذا المساء . . غير أنى سأذهب . إمض قبلى يا صاح وخبّرهم أنى سأحضر .

لانسلوت : سأمضى قبلك ياسيدى . (جانبا لجيسيكا) تطلّعى من النافذة ياسيدتى رغم كل ما قال . وسيأتيك فتى مسيحى ، خليق بإعجاب ابنة اليهودى . (يخرج)

شايلوك : ما الذى كان يقوله لك ذلك الأبله من نسل هاجر ؟

جيسيكا : قال « الوداع ياسيدتى » ، لا أكثر ولا أقل .

شايلوك : قد يكون هذا الرجل التافه طيب القلب . غير أنه شره فى الأكل ، بطىء فى كسب الرزق بطء القوقع ، ينام بالنهار أطول مما ينام السِّنَّوْر . . وإذ

(١) يقصد : وصولك .
(٢) مجرد لغو لا معنى له .

ليس لذكر النحل مكان فى خليتى ، فإنى أتخلّى عنه ، وأتخلى عنه لامرىء آمل أن يساعده لانسلوت فى تبديد ما اقترضه من أموال . . فلتدخلى الدار إذن ياجيسيكا . . قد أغيّر رأيى فأعود على الفور . . أطيعى أمرى واغلقى الأبواب بعد دخولك . . قديما قالوا : « أحرس المال يحرسك » . وهو مثل عظيم ، يستنير به العقل الحكيم . (يخرج)

جيسيكا : وداعا ! فإن كان الحظ مواتيا ، فقدتَ ابنةً لك وفقدتُ أبًا ليا ! (تخرج)

المشهد السادس

نفس المنظر

(يدخل جراشيانو وساليريو متنكّرين)

جراشيانو : هذه هى السقيفة التى طلب منا لورينزو أن ننتظره تحتها .

ساليريو : لقد تأخر عن موعده .

جراشيانو : إنه لأمر غريب أن يتأخر عن موعده . فمن عادة العشاق أن يصلوا قبل الموعد .

ساليريو : ومن عادة حمائم فينوس أن يكون طيرانها لمباركة عهد حب جديد أسرع عشر مرات من طيرانها للحفاظ على عهد زواج قديم !

جراشيانو : وهو الحال دائماً . إذ من ذا الذى ينهض من المأدبة وشهيته على حالها وقت جلوسه إليها ؟ وأين هو الحصان الذى يعود أدراجه فى نفس الطريق المملة بنفس التحمّس الذى كان يعدو به أول مرة ؟ ألا إن تحمّسنا فى البحث عن الشىء ، أى شىء ، لأعظم كثيرًا من استمتاعنا به بعد تملّكه. إن السفينة المزيّنة لتبحر من مرفئها وكأنها الإبن الأصغر المدلّل المترف ، تحتضنها وتعانقها الريح المتقلّبة ، ثم تعود عودة الإبن الضال وقد تلفت أضلاعها وتمزقت أشرعتها ، هزيلة محطّمة فقيرة بفعل هذه الريح المتقلّبة ذاتها .

(يدخل لورينزو)

سالريو : ها هو لورينزو قد أقبل . . سنواصل الحديث فيما بعد .

لورينـزو : معذرة أى صديقى العزيزين لهذا التأخير منى . فمشاغلى هى المسئولة لا أنا عن اضطراركما إلى الانتظار . ولكما علىّ أن أصبر طويلاً فى انتظاركما حين تعتزمان اختطاف زوجتين لكما . . تقدّما . فهنا يقطن أبى اليهودى . (ينادى) من بالداخل ؟

(تظهر جيسيكا فى شرفة علوية وهى ترتدى زىّ غلام)

جيسيكا : من أنت ؟ خبّرنى حتى أتيقّن رغم ثقتى من تمييز صوتك .

لورينـزو : لورينزو ، وحبيبك .

جيسيكا : لورينزو دون شك ، وحبيبى بكل تأكيد . إذ من ذا الذى أحبه أكثر من حبى إياك ؟ ومن غيرك يالورينزو يعلم أنى حبيبتك ؟

لورينـزو : السماء ومشاعرك تشهد أنى أحبك .

جيسيكا : خذ ! تلقّف هذه العلبة . ما فيها يساوى الكدّ فى جمعه . . وإنى لسعيدة بأن ظلمة الليل تحول دون رؤيتك إياى ، إذ كم أنا خجلة من مظهرى الجديد هذا . غير أن الحب أعمى ، والمحبون عاجزون عن رؤية الحماقات الجميلة التى يرتكبونها . ولو أنهم كانوا مبصرين لتملّك كيوبيد نفسه الخجل إذ يرانى وقد تحوّلت هكذا إلى غلام .

لورينـزو : إنزلى حتى تكونى حاملة مشعلى .

جيسيكا : كيف ! أأحمل بنفسى الضوء الذى يفضحنى ؟ فضيحتى فى حدّ ذاتها ظاهرة دون حاجة إلى ضوء ، وما تكلّفنى به ياحبيبى سيزيدها وضوحًا فى الوقت الذى أسعى فيه إلى إخفائها .

لورينـزو : لن يتعرّف أحد عليك ياحبيبتى وأنت فى هذا الزىّ الجميل للغلام . ولكن هيّا على الفور قبل أن ينصرم هذا الليل البهيم ، والقوم ينتظروننا فى حفل بسانيو .

جيسيكا : سأوصد الأبواب ، وأزوّد نفسى بمزيد من الدوقيات ، ثم ألحق بك للتو .

(تترك جيسيكا الشرفة إلى الداخل)

جراشيانو : قسمًا بهذا القناع الذى ألبسه ، إنها أبعد ما تكون عن سمات اليهودى .

لورينـزو : الويل لى إن لم أكن أحبها من كل قلبى ! فإن صدق حكمى فهى فتاة عاقلة ، وإن لم تخدعنى عيناى فهى فتاة حسناء . وقد أثبتت فعالها أنها وفية مخلصة . وعلى قدر صفات الحكمة والجمال والوفاء فيها سأجعل لها مكانة فى قلبى الوفى دوما لها .

(تدخل جيسيكا)

قد أتيت إذن ؟ أيها الغلام الرقيق هيّا بنا ، فرفاقنا فى الحفل التنكرى هم الآن فى انتظارنا .

(يدخل أنطونيو)

أنطـونيو : من هناك ؟

جراشيانو : سنيور أنطونيو ؟

أنطـونيو : ويلى عليك ياجراشيانو ! أين البقية ؟ الساعة الآن التاسعة وأصدقاؤنا كلهم فى انتظارك . لن يكون ثمة حفل تنكرى . فقد تحوّل مسار الريح ، وعما قليل يركب بسانيو السفينة . . لقد بعثت بعشرين رجلاً للبحث عنك .

جراشيانو : وأنا سعيد بهذا الخبر : فما لى من رجاء ، إلا إن أركب السفينة وأمضى هذا المساء . (يخرجان)

المشهد السابع

بلمونت

(تدخل بورشيا وأمير مراكش مع أتباعهما)

بورشيا : هيا أزيحوا الستائر عن الصناديق حتى يراها هذا الأمير النبيل . والآن فلتختر واحدا منها .

أمير مراكش : أولها صندوق من ذهب قد كُتب عليه : « من اختارنى نال ما يتمنّاه الكثيرون » . والثانى من فضة ، كتب عليه : « من اختارنى نال بمقدار ما يستحق » . والثالث من الرصاص القاتم ، كتب عليه تحذير قاتم مثله : « من اختارنى عليه أن يعطى وأن يخاطر بكل ما عنده » . فكيف عسانى أن أعلم أنى أحسنت الاختيار ؟

بورشيا : أحد الصناديق يحوى صورتى أيها الأمير . فإن اخترته أصبح زوجة لك .

أمير مراكش : وفّق الله اختيارى إذن . . فلأنظر وأتدبّر . أراجع الكتابات مرة أخرى . ماذا يقول صندوق الرصاص ؟ « من اختارنى عليه أن يعطى وأن يخاطر بكل ما عنده » . . أن يعطى ؟ من أجل أىّ مقابل ؟ مقابل الرصاص ؟! هذا الصندوق ينذرنا : فمن خاطر بكل ما عنده إنما يخاطر من أجل ما سيعود عليه بنفع كبير . وحيث أن العقل النبيل لن يلتفت إلى مثل هذه التفاهات ، فلانية لدىّ أن أعطى أو أن

أخاطر بأى شىء فى سبيل الرصاص . فما يقول الصندوق الفضى بلونه النقى ؟ « من اختارنى نال بمقدار ما يستحق » . . بمقدار ما يستحق . . لتتوقف هنا أيها الأمير ، ولتزن قدرك فى موضوعية وحياد . لو قيس قدْرك برأيك فى نفسك لاستحققت ما فيه الكفاية . غير أن الكفاية قد لا تشمل هذه السيدة . . ومع ذلك فإن الشك فى قدر ذاتى يحطّ من شأنى ويوهنه . . « بمقدار ما يستحق » . . وأنا أستحق أن أفوز بالسيدة . فأنا كفء لها من حيث الأصل ، ومن حيث الثراء ، والشمائل ، والسلوك المهذب ، وأستحقها، قبل أى شىء آخر ، بفضل حبى لها . فماذا لو أنى توقفت هنا واخترت هذا الصندوق ؟ لأقرأ مرة أخرى ما كتب على صندوق الذهب : « من اختارنى نال ما يتمنّاه الكثيرون » . آه ! هى السيدة بعينها ! فالعالم كله طامع فى الفوز بها . والناس من أركان العالم الأربعة يغدون إلى هنا ليقبّلوا هذه الأيقونة المقدسة ، بل القديس الحىّ ! وما صحارى هيركانيا [1] وبلاد العرب الشاسعة إلا بمثابة طرق يسلكها الأمراء من أجل أن يحظوا برؤية بورشيا الجميلة . أما مملكة البحار التى ينطح رأسها المتشامخ وجه السماء ، فليس بوسعها أن تحول بين الأجانب وبين المجىء لمشاهدة بورشيا الحسناء وكأن البحار مجرد جداول من الماء . . صندوق من هذه الصناديق الثلاثة يحوى صورتها البديعة . أفمن المعقول أن يحتويها الصندوق الرصاصى ؟ ما أبشع أن تمر بخاطرى مثل هذه الفكرة ، أو أن يودع كفنها فى هذا القبر المظلم ! أم أن صورتها فى صندوق الفضة التى تعارف الناس على أن قيمة الذهب تعادل عشرة أمثال قيمتها ؟ يالها من فكرة حقيرة أن تودع مثل هذه الجوهرة الثمينة فى غير وعاء من ذهب ! إن لديهم فى انجلترا عملة عليها صورة ملاك [2] ذهبى . غير أن الذهب فيها مجرد قشرة ، أما

---

(١) صحارى جنوبى بحر قزوين .

(٢) عملة كانت تعرف باسم angel لحملها صورة الملاك ميكائيل .

هنا فثمة ملاك يرقد فى سرير من ذهب . . ناولينى المفتاح . لقد اخترت هذا الصندوق ، وليكن قدرى ما يكون .

بورشيا : هاك المفتاح أيها الأمير . فإن كانت صورتى فى الصندوق صرت زوجتك .

(أمير مراكش يفتح الصندوق الذهبى)

أمير مراكش : الويل لى ! ما هذا الذى أراه هنا ؟ جمجمة فى ثقب عينها ورقة . سأقرأ ما كتب فيها :

« كثيرا ما أخبروك ونبّهوك
إلى أنه ما كل ما يلمع ذهب .
وكم قد باع روحه حتى يرانى
مِن كلّ مَنْ هبّ ودبّ .
غير أن القبور المذهّبة لا تحوى غير الديدان .
فلو أن حكمتك كانت فى مثل بسالتك يا أشجع الشجعان ،
وكان لك رأى الشيوخ فى جسد الشباب ،
لكان جوابك غير هذا الجواب .
وداعا إذن ، فإن طلبك غير مستجاب » .

طلب غير مستجاب وجهد ضائع من بليد . . وداعًا إذن يادفء الشمس ومرحبا ببرودة الجليد . . وداعًا يابورشيا ، فقلبى منفطر حزين ، لا يسمح بإطالة الحديث ، وكذا وداع الخائبين .

(ينصرف أمير مراكش وأتباعه)

بورشيا : قد تخلصنا منه فى يسر . هيا ! أسدلوا الستائر . وعسى أن يؤوب بخيبته ، كل من كان له لون بشرته !

(يخرجون ـ صوت أبواق)

الفصل الثانى

المشهد الثامن
البندقية

(يدخل ساليريو وسولانيو)

ساليريو : أؤكد لك أنى رأيت بسانيو فى السفينة وقد أبحر معه جراشيانو . أما لورينزو فلم يكن فى سفينتها .

سولانيو : لقد توجّه اليهودى الوغد إلى الدوق يصرخ ويحتج ، فمضى معه حتى يفتّشا سفينة بسانيو .

ساليريو : وصلا متأخرًا بعد أن أقلعت السفينة . غير أن البعض أفهم الدوق هناك أن لورينزو وعاشقته جيسيكا قد شوهدا معا فى جندول . كما شهد أنطونيو أمام الدوق أنهما لم يكونا مع بسانيو فى سفينته .

سولانيو : لم أر فى حياتى هياجا مختلطا غريبًا فظيعًا متقلبا مثلما رأيته فى اليهودى الكلب وهو يهتف فى الطرقات : « إبنتى ! آه يادوقياتى ! آه يا ابنتى ! فرّت مع مسيحى ! آه يادوقياتى المسيحية ! العدالة ! القانون ! دوقياتى وابنتى ! كيس مختوم ، كيسان مختومان من الدوقيات ، من الدوقيات المزدوجة ، سرقتهما ابنتى منى ! ومجوهرات أيضًا . . حجران ، حجران كريمان ثمينان ، سرقتهما ابنتى ! العدالة ! ابحثوا عن الفتاة ! معها الحجران والدوقيات ! » .

ساليريو : وكل غلمان البندقية يتبعونه ويرددون صيحاته عن أحجاره وابنته ودوقياته .

سولانيو : فليحذر أنطونيو من أن يتأخر عن الوفاء بدينه ، وإلا دفع ثمن ما حدث .

ساليريو : أحسنت بذكرك لهذا الأمر . لقد أثرتُه يوم أمس مع رجل فرنسى فأخبرنى بتحطّم سفينة من بلادنا تحمل بضائع ثمينة فى المضيق الذى يفصل بين فرنسا وانجلترا . وقد فكرتُ فى أنطونيو حين أخبرنى بذلك ، وتمنّيت فى قرارة نفسى ألا تكون السفينة له .

سولانيو : من الخير أن تخبر أنطونيو بما سمعته . ولكن ترفّق إذ تنقل إليه الخبر حتى لا ينزعج .

ساليريو : ما على وجه الأرض من هو أطيب منه قلبا . . لقد رأيته وهو يودّع بسانيو، وسمعت بسانيو يخبره أنه سيعود سريعًا ، فأجابه أنطونيو بقوله : « لا تتعجل يا بسانيو فتفسد أمورك بسببى ، وخذ من الوقت ما أنت فى حاجة إليه . وأما عن الصّكّ الذى أخذه اليهودى منى ، فلا تشغل به ذهنك وخططك الغرامية . . . ابتسم للحياة ولا تعبأ بغير مشروع زواجك والتعبير الجميل عن حبك على النحو الذى يخدم غرضك هناك » . وعندئذ اغرورقت عيناه بالدموع ، فأشاح وجهه ، واضعًا ذراعه على كتف بسانيو ، وصافح يده بحرارة شديدة غريبة ، ثم افترقا .

سولانيو : إنه لا يحب الدنيا إلا من أجل بسانيو . أرجوك أن ترافقنى فنبحث عنه ، ونحاول أن نهيئ له من أسباب التسلية ما يخفف من الهمّ الذى يثقل كاهله .

ساليريو : فلنفعل .

(يخرجـان)

المشهـد التاسـع

بـلـمـونـت

(تدخل نيريسّا مع أحد الخدم)

نيريســـا : أسرع ، أسرع من فضلك وأزح الستار . فقد أدّى أمير أراجون القسم وسيأتى الآن للاختيار .

(صوت أبواق - يدخل أمير أراجون وحاشيته مع بورشيا)

بورشـــيا : أنظر أيها الأمير النبيل ، ها هى ذى الصناديق . فإن اخترت الصندوق الذى فيه صورتى ، شرعنا فورًا فى مراسم زواجنا . أما إن فشلت يامولاى فسيكون عليك أن تغادرنا على الفور دون أى حديث .

أمير أراجون : يفرض علىّ القسم الذى أديته ثلاثة أمور :

الأول : ألا أذكر لأىّ مخلوق أى الصناديق اخترت ؛

والثانى : ألا أحاول الزواج من أية فتاة طيلة عمرى إن أنا لم أختر الصندوق الصحيح ؛

وأخيرًا : أن أتركك على الفور وأمضى إن ساء حظى وأخفقت فى اختيارى .

بورشـــيا : وهى الشروط التى يقسم أن يراعيها كل من غامر من أجل شخصى التافه .

الرسول : أين سيدتى ؟

بورشيا : هنا . ماذا تريد ياسيدى ؟

الرسول : لقد وصل إلى بابك ياسيدتى شاب من البندقية ، رسول يبشّر بقرب وصول مولاه الذى حمّله التحيات إليك : تحيات من نوع السلام والتمنيات الطيبة والهدايا النفيسة . غير أنى لم أشهد فى حياتى رسول غرام فى مثل جمال هذا الذى جاء يسبق سيده . فهو كيوم جميل من أيام إبريل يبشر بقرب صيف رائع خصب .

بورشيا : كفاك حديثا ، أرجوك . فإنى لأكاد أخشى أن تمضى فتقول إنه واحد من أقربائك بعد استخدامك لأقوى التعابير فى امتداحه . . تعالى يانيريسا معى ، فإنى لمشتاقة إلى رؤية هذا الرسول لكيوبيد ، ذاك الذى أتانا مسرعا فى مثل هذه الصورة البديعة .

نيريسا : وإنى لأدعو إله الحب أن يكون القادم هو بسانيو !

(يخرجون)

الفصل الثالث

الفصل الثالث

المشهد الأول
البندقية

(يدخل سولانيو وساليريو)

سولانيو : ما الأخبار فى الريالتو ؟

ساليريو : لا يزالون يقولون ، دون أن يكذّبهم أحد ، إن سفينة لأنطونيو محملة بنفيس البضائع قد تحطمت فى مضيق دوفر عند موقع يسمونه رمال جودوين [1] ، وهو موقع ضحل المياه ، شديد الخطورة ، يقال إن فى قاعه حُطام العديد من السفن الضخمة . . هذا إن صحّت الشائعات التى وصلت مسامعى .

سولانيو : ليتها كانت كاذبة كذب الشمطاوات أو كذب المرأة التى توهم جيرانها بأنها تندب موت زوجها الثالث ! غير أن الخبر صحيح ، ويمكننى القول دون التواء ومواربة ، ودون لف أو دوران ، أن أنطونيو الطيب ، أنطونيو الأمين ، أنطونيو الـ . . . ليتنى أجد وصفا خليقا به .

ساليريو : قل وعجّل !

سولانيو : هَهْ ؟ ماذا تعنى ؟ خلاصة القول أنه فقد إحدى سفنه .

ساليريو : علّها تكون آخر خسائره .

---

(١) رمال عند الساحل الجنوبى لمقاطعة كنت بإنجلترا تمتد فى البحر لمسافة ستة أميال .

سولانيو : فلأقل « آمين » حتى لا يُفسد الشيطان دعائى . وها هو قد أقبل فى هيئة يهودى .

(يدخل شايلوك)

شايلوك ! ما الأخبار التى يتناقلها التجار ؟

شايلوك : كنتما تعلمان سلفا بفرار ابنتى . نعم . ليس ثمة من كان يعلم به أكثر منكما .

ساليريو : بكل تأكيد . وعن نفسى أقول إنى أعرف الحائك الذى صنع لها الجناحين اللذين استخدمتهما فى الهرب .

سولانيو : وشايلوك من جانبه يعلم أن الطائر كان قد نبت ريشه ، فكان من الطبيعى أن يحين أوان هجره لعش أمه .

شايلوك : عليها اللعنة !

ساليريو : هذا مؤكد إن كان الشيطان هو الحكم فى قضيتها .

شايلوك : أية ثورة هذه من لحمى ودمى !

سولانيو : ألا تخجل أيها العجوز الفانى ؟ أيهيج لحمك ودمك فى مثل هذه السن؟![١]

شايلوك : أردت القول إن ابنتى هى لحمى ودمى .

ساليريو : الفارق بين لحمك ولحمها أكبر من الفارق بين الفحم والعاج ، والفارق بين دمك ودمها أعظم من الفارق بين النبيذ الأحمر الرخيص ونبيذ الراين . . ولكن خبرنا : هل سمعت بخبر مؤداه أن أنطونيو فقد سفنا له فى البحر ؟

شايلوك : وتلك خسارة أخرى لى . . هو رجل مفلس ، أدّى به تبذيره إلى أن أضحى لا يجرؤ على أن يُرى وجهه فى الريالتو ، وغدا شحاذًا بعد أن كان يمشى

(١) يتظاهر سولانيو بأنه ظن شايلوك يعنى الشهوة الجنسية .

مختالا فى السوق . . ليحذر الإخلال بالعقد . . اعتاد فى الماضى أن يدعونى بالمرابى . فليحذر الإخلال بالعقد . . واعتاد أن يُقرض المال كمسيحى دون فوائد . فليحذر الإخلال بالعقد !

ساليريو : أنا واثق من أنك لن تطالب بلحمه إن هو أخلّ بالعقد . إذ أىّ نفع لك فى هذا اللحم ؟

شايلوك : أستخدمه طُعمًا لصيد السمك ! إن لم يهدّئ من غائلة جوعى هدّأ من غائلة رغبتى فى الثأر . لقد أساء إلى سمعتى ، وحرمنى من كسب نصف مليون ، وهزأ بخسائرى ، وسخر من أرباحى ، واحتقر أمّتى ، وأفسد صفقاتى، وحوّل عنى أصدقائى ، وأثار علىّ أعدائى . . فما دافعه إلى ذلك ؟ أننى يهودى . . أما لليهودى عينان ؟ أما لليهودى يدان ، وأعضاءٌ وهيئة ، ومدارك وعواطف وأحاسيس ؟ أليس كالمسيحى يأكلّ من نفس الطعام ، وتؤذيه نفس الأسلحة ، وتصيبه نفس الأمراض ، ويعالجه نفس الدواء ، ويشعر بالدفء فى نفس الصيف ، وبالبرد فى نفس الشتاء ؟ ألا يسيل الدم منا إذا طعنتمونا ، ونضحك إذا داعبتمونا، ونموت إذا سممتمونا ؟ فإن أنتم أسأتم إلينا ، أفما من حقنا أن ننتقم ؟ فإن كنا مثلكم فى كل ما ذكرت ، فسنكون مثلكم فى هذا الصدد أيضًا . . إذ ما جزاء اليهودى إن هو أساء إلى مسيحى ؟ الثأر . وما هو بالتالى جزاء المسيحى إن هو أساء إلى يهودى ؟ هو الثأر أيضًا ! وستشهدون منى الغلظة التى تعلّمتها منكم ، بل وأشدّ منها إن لم يحل بينى وبينها حائل .

(يدخل أحد خدم أنطونيو)

الخـادم : (لسولانيو وساليريو) مولاى أنطونيو فى داره ويريد التحدث إليكما .

ساليريو : لقد كنا نبحث عنه فى كل مكان .

(يدخل طوبال)

سولانيو : وهذا امرؤ آخر من قبيلته . وما ثمة ثالث يمكننا مقارنته بهاذين ما لم يعتنق الشيطان نفسه دين اليهود .

(يخرج ساليريو وسولانيو والخادم)

شايلوك : طوبال ! ما الأخبار من جنوه ؟ هل وجدت ابنتى ؟

طوبال : مررتُ بأماكن كثيرة حدثونى فيها عنها ، غير أنى لم أوفق إلى العثور عليها .

شايلوك : ربّاه ، ربّاه ، ربّاه ، ربّاه ! ضاعت ماسة كلفتنى ألفى دوقية فى فرانكفورت ! ما عرفت أمّتنا لعنة السماء إلاّ الآن ، ولا شعرتُ بهذه اللعنة إلاّ الآن : ألفا دوقية دفعتها ثمنا لتلك الماسة ، بالإضافة إلى جواهر أخرى نفيسة نفيسة ! ليتنى أرى ابنتى ميتة عند قدمىّ والجواهر فى أذنيها! ليتها فى نعشها عند قدمىّ والدوقيات معها ! لا أخبار عنها ؟ كيف ؟ ثم المبالغ التى أنفقت فى سبيل البحث عنها ! يالها من خسارة تلو خسارة! قد سرق اللص مبالغ وأنفقنا المبالغ من أجل العثور على اللص ! وما من نتيجة ، وما من ثأر ، وما من حظ عاثر إلا ما يصادفنى، وما من تنهّدات إلا ما يصدر عنى ، وما من دموع إلا ما تذرفه عينى !

طوبال : بل ثمة آخرون ذوو حظ عاثر . . فقد سمعت فى جنوه أن أنطونيو . . . .

شايلوك : ماذا ، ماذا ، ماذا ؟ حظ عاثر ؟ حظ عاثر ؟

طوبال : تحطمت سفينة كبيرة له أثناء قدومها من طرابلس .

شايلوك : حمدا لله ، حمدا لله ! أصحيح هذا ؟ أهذا صحيح ؟

طوبال : قد تحادثتُ مع عدد من البحارة الناجين من السفينة .

شايلوك : شكرا لك ياطوبال . إنها لأخبار سارة . . أخبار سارة ! ها ها ! سمعتها فى جنوه ؟

طوبال : وسمعت أن ابنتك أنفقت فى جنوه فى ليلة واحدة ثمانين دوقية .

شايلوك : يالها كالطعنة بالخنجر فى قلبى ! لن أرى ذهبى مرة أخرى ما حييت . ثمانين دوقية فى جلسة واحدة ؟! ثمانين دوقية !

طوبال : وقد رافقنى إلى البندقية عدد من دائنى أنطونيو كانوا واثقين من أنه ليس أمام أنطونيو إلا أن يشهر إفلاسه .

شايلوك : وأنا سعيد بذلك . . سأسحقه وأعذبه . . أنا سعيد بذلك .

طوبال : أرانى أحدهم خاتما دفعته ابنتك ثمنا لقرد اشترته منه .

شايلوك : اللعنة عليها ! إنك تعذبنى ياطوبال . هو خاتم لى من الزبرجد كانت ليحا قد أهدتنى إياه قبل زواجنا . وما كنت لأعطيه ثمنا لغابة من القرود .

طوبال : غير أن المؤكد أن أنطونيو قد انتهى .

شايلوك : هذا حق . هذا مؤكد . إمض ياطوبال فادفع نيابة عنى أجر الضابط الذى سيقبض عليه ، قبل حلول أجل الصك بأسبوعين . وسأنتزع قلبه من جوفه إن هو أخلّ بالعقد ، حتى إذا ما خلت البندقية منه مارست تجارتى وفق هواى . امضِ ياطوبال ، ثم قابلنى فى معبدنا . إذهب ياطوبال ، وفى معبدنا نلتقى .

(يخرجان)

المشهد الثانى

بلمونت

(يدخل بسانيو وبورشيا وجراشيانو ونيريسا وكل أتباعهم)

بورشيا : رجائى إليك أن تتريّث ، وأن تتمهّل يوما أو يومين قبل أن تغامر . ذلك أنك إن أخطأت الاختيار فقدتُ أنا صحبتَك . . فانتظر إذن بعض الوقت . . لدىّ إحساس ـ ليس مبعثه الحب ـ بأنى لا أريد أن أفقدك ، غير أنك تعلم أن مثل هذا الإحساس لا يمكن أن يبعثه النفور . إنى أخشى أن تسئ فهمى ، والعذارى على أى حال لهن أن يفكّرن كما شئن دون أن يعبّرن عما يفكرن فيه . غير أنى أريدك أن تبقى هنا شهرًا أو شهرين قبل أن تخاطر من أجلى . قد يكون بإمكانى أن أهديك إلى سبيل الاختيار السليم ، غير أنى أقسمتُ ألا أفعل ، ولن أفعل . وقد تخطئ الاختيار فتفقدنى ، فإن فقدتنى فسيدفعنى فقدك إلى التحسّر على أنى لم آثم فأحنث بقسمى . . ويلى من عينيك . قد سحرتانى فقسمتانى نصفين : النصف لك ، والنصف الثانى هو أيضًا لك . كان ينبغى أن يكون الثانى لى ، غير أنه حتى إن كان لى فهو بالضرورة لك . فالكل إذن لك . . آه من هذا الزمن الخبيث الذى يحول بين المالك وحقّه ! فرغم أنى لك فلست فى الواقع لك . فإن كان هذا هو الوضع فليمض الحظ إلى الجحيم دونى . . غير أنى أطلت الحديث ، أطلته لأطيل الوقت ، وأمدّه حتى أؤجل لحظة اختيارك .

بسانيو : بل دعينى أختار ، حتى أنهىَ ما أنا فيه من عذاب كعذاب الجحيم .

بورشيا : كعذاب الجحيم يابسانيو ؟ فاعترف إذن بالخطيئة التى تخالط حبك .

باسانيو : ما من خطيئة هناك غير خطيئة الشك الكريه الذى يثير خوفى من ألا أنال محبوبى . فإن جاز أن يكون ثمة مودة وتوافق بين الثلج والنار ، جازت مخالطة الخطيئة لحبى .

بورشيا : نعم . غير أنى أخشى أن يكون كلامك هذا بدافع ما ذكرته من عذاب ، والتعذيب ـ كما تعلم ـ يستخدمونه لإجبار المرء على قول ما يريدونه أن يقول .

بسانيو : عدينى بالحياة فأعترف بالحقيقة لك .

بورشيا : حسنا إذن : إعترف وعش .

بسانيو : « إعترف وعش » . هذه العبارة هى خلاصة اعترافى . وإنه لعذاب لذيذ حين يلقّننى معذّبى الإجابات الكفيلة بنجاتى ! ولكن ، هيّا الآن إلى الصناديق لتجربة حظى .

بورشيا : فلنمض إذن . صورتى فى واحد منها . فإن كنت تحبنى حقا فستعثر عليها . ولتتنحّ نيريسا جانبا هى والآخرون . . لتعزف الموسيقى أثناء اختياره ، حتى إذا ما أخفق صاحبت الموسيقى نهاية اختياره شأن البجعة التى تنهى حياتها بالغناء . وحتى يكتمل التشبيه أقول إن عينى ستكون الغدير أو القبر المائى الذى سيدفن فيه . أما إن فاز ، فأىّ نوع من الموسيقى ستكون ؟ ستكون الموسيقى عندئذ صوت أبواق تدعو الرعية المخلصة إلى الانحناء أمام الملك عند تتويجه ، أو هى الموسيقى العذبة يعزفها أصدقاء العريس عند الفجر تحت نافذته وهو يحلم ، يستدعونه بها إلى حيث يُبرم عقد الزواج . . ها هو يتقدم فى وقار لا يقل عن وقار هرقل ، وفى حبّ يفوق حبّه ، حين انبرى هرقل الشاب لإنقاذ العذراء التى قدّمها أهل طروادة وهم يبكون قربانا للوحش البحرى . . إننى ذلك القربان ، وتابعاتى هنا هن بمثابة نساء طروادة وقد خرجن بوجوه عليها

أثر الدمع ليرين نتيجة المغامرة . . إمض ياهرقل ! فإن كُتبتْ لك الحياة كتبت لى الحياة . وإن قلبى لأكثر انزعاجا إذ أشاهد القتال ، من انزعاجك أنت يامن انبريت للنزال .

(صوت موسيقى وغناء أثناء تأمل بسانيو للصناديق وتعليقه عليها)

الأغنية : خبّرونى أين ينبت الحب ؟
فى العقل يا تُرى أم فى القلب ؟
كيف ينشأ وما الذى يغذّيه ؟

الكل : أجب ! أجب !

الأغنية : إنه يولد فى البصر ،
ويتغذّى على النظر ،
ويموت فى المهد ،
فنلتفّ حول اللحد ،
وأكون أول الناس ،
القارعين للأجراس .

الكل : لنقرع الأجراس .

بسانيو : قد لا يدل المظهر الخارجى إذن على المخبر ، وتظل الدنيا دوما يخدعها جمال الرونق . فأمام المحاكم ، مهما كانت الدعوى فاسدة باطلة ، أمكن للبيان الفصيح إن تبنّاها أن يحجب فساد جوهرها . وفى الدين ، مهما كان الخطأ جسيما ، أمكن لصاحبه الوقور أن يعزّزه وأن يدعمه بنص دينى ، فيخفى القبح بذلك وراء مظهر جميل . وليس ثمة رذيلة مهما هان شأنها إلا تتوارى خلف ستار من الفضيلة . فما أكثر الجبناء ذوى القلوب المتقلبة كدرج من الرمال ، ممن نرى على وجوههم لحية هرقل أو لحية مارس إله الحرب العبوس ، فإن نقّبنا فى داخلهم وجدنا أكبادًا بيضاء كاللبن [١] ،

(١) كان المعتقد أن الكبد هو مصدر الشجاعة وأن فى الكبد الأبيض دلالة على الجبن .

وما ينتحلون لأنفسهم مظهر الشجعان إلا كى يخافهم الناس . ثم انظر إلى الجمال ، ترى أن وسائله ومساحيقه توزن وتُشترى ، فتُحدث فى الأصل تغييرا أشبه بالمعجزة ، ويخفّ عقل المتزيّنة بها بقدر ثقل ما تضعه من مساحيق . وكذا الحال مع ذلك الشعر الذهبى المتموّج كالثعابين ، والذى يتناثر مرحا مع هبوب الريح ، فوق رأس نخاله جميلا ، ما هو فى الحقيقة غير ميراث من رأس آخر قد غُيّبت جمجمته فى القبر . فما الزينة إذن إلا بمثابة الساحل الخلاّب لأكثر البحار خطورة ، أو الخمار الجميل فوق وجه دميم ، أو اختصارًا هى مظهر الحقيقة الذى ينتحله الزمان الماكر حتى ينصب حبائله لأكثر الناس حكمه . . ولهذا أشيح بوجهى عنك أيها الذهب البراق الذى كان طعامًا صلبًا لميداس [١] . كما أشيح بوجهى عنك أيضًا أيتها الفضة الشاحبة المتداولة بين الناس . . أما أنت، أيها الرصاص الهزيل الذى يهدّد أكثر مما يعطى من وعود ، فإن شحوب لونك يؤثر فى نفسى أكثر مما تؤثر فيها الفصاحة الطليّة . سأختارك أنت ، وليكن نصيبى حياة هنيّة .

بورشيا : (جانبا) كل العواطف عندى ، عدا الحب ، قد تبخّرت فى الهواء : شكوكى ، ويأسى الذى لم يكن له مبرر ، وخوفى وارتعادى وغيرتى . . ولكن ، ترفّق أيها الحب واعتدل ، وخفّف من غلوائك ، وأمطر علىّ من نشوتك رذاذا هادئًا لاسيلا عارمًا ! إنى لأشعر بالبهجة ولكن أكثر مما ينبغى ، فخفّف منها حتى لا تدركنى التخمة .

(يفتح بسانيو الصندوق الرصاصى)

بسانيو : ما اللذى أراه هنا ؟ صورة بورشيا الجميلة ! أىّ إنسان أشبه بالآلهة له هذه القدرة على الخلق ؟ أتتحرك هاتان العينان ؟ أم أن انعكاسهما فى عينىّ هو الذى يوهمنى بأنهما تتحركان ؟ وهاتان شفتان قد فرّقت بينهما أنفاس

(١) ميداس : ملك فريجيا الذى تهوّر فسأل الآلهة أن تحوّل كل ما يلمسه إلى ذهب ، فكان الطعام والشراب يستحيلان هما أيضا إلى ذهب كلما مسّتهما يده .

عطرة، فما أجمله من فاصل بين صديقين جميلين ! وقد كان الرسام فى رسمه لشعرها أشبه بالعنكبوت ، إذ نسج شركا ذهبيا يتصيّد به قلوب الرجال بأسرع مما يصيد نسج العنكبوت البعوض . . أما عن عينيها . . . كيف تمكّن الرجل من رؤيتها فيرسمها ؟ إذ أنه لو كان رسم عينا واحدة فحسب لأمكن لتلك العين أن تسلبه عينيه معا فما يغدو بوسعه أن يرسم الأخرى . ومع ذلك فإن مديحى لا يوفى بحق هذه الصورة ويغمطه ، تماما كما أن الصورة لا توفى بحق الأصل وتغمطه . . ها هى الرسالة التى تحوى خلاصة طالعى . (يقرأ)

« أنت يامن لم يغرّه المظهر عند الانتقاء،
قد وفّقت فى اختيارك وكُتب لك الهناء .
وإذ كان هذا هو طالعك السعيد ،
فاقنع به ، ولا تبحث عن جديد .
فإن أسعدك هذا وأرضاك ،
وحقّق آمالك ومُناك ،
فالتفت تجد وراءك حبيبتك ،
أطلب يدها ، واهبا إياها قبلتك » .

رسالة رقيقة ! إئذنى لى ، أى سيدتى الجميلة ، فعندى توكيل بأن أطلب وأن أهب . . إننى أقف أمامك أيتها السيدة متناهية الحسن ، وقوف أحد المتنافسين على جائزة ، يحسب أنه قد أرضى الناس بأدائه ، حتى إذا ما سمع التصفيق وهتاف الجماهير ، أدار الصوت رأسه وظل يحملق ويسائل نفسه عما إذا كان الهتاف له أو لغيره . فكذا سأظل أسائل نفسى عما إذا كان هذا حلما أم حقيقة ، حتى يصدر عنك تأكيد وتوقيع وتوثيق !

بورشيا : ترانى الآن ياسيدى بسانيو كما أنا . ورغم أنى لا أتطلّع من أجل ذاتى إلى أن أكون أفضل مما أنا عليه ، فقد كان يسعدنى ، من أجلك أنت ، لو كنتُ أفضل ستين مرة مما أنا عليه ، وأجمل ألف مرة ، وأغنى عشرة آلاف

مرة ، حتى أبلغ الغاية فى تقديرك لى بفضل خلالى وجمالى ، وثروتى وعُزوتى . غير أنى ، كما أنا ، هزيلة القدر . وما أحسبنى فى مُجملى إلا فتاة ناقصة العلم والثقافة والتجربة ، يسعدها مع ذلك أنها صغيرة السن فيمكنها أن تتعلم ، ويسعدها أكثر أنها ليست شديدة الغباء فيمكنها أن تتعلم ، ويسعدها أكثر وأكثر أنها تُسلم قيادها لك ، توجهها توجيه السيد والحاكم والملك . . وها أنا الآن أُسلمك زمامى وزمام ما ملكت يداى . . لقد كنت حتى هذه اللحظة سيدة هذ القصر الجميل ، ومولاة خدمى ، وسيدة نفسى . أما فى هذه اللحظة ، هذه اللحظة عينها ، فقد أضحى هذا القصر وهؤلاء الخدم ونفسى ملكا لك أى مولاى ، أُسلمهم إليك مع خاتمى هذا . وهو خاتم إن فارقته أو فقدته أو أهديته ، كان ذلك إيذانا بنهاية حبك ، وذريعة لى لتأنيبك .

بسانيو : قد أفقدنى حديثك ياسيدتى القدرة على الحديث ، ولم يعد غير الدم فى عروقى قادرًا على مخاطبتك . لقد اضطربت مداركى اضطراب الجمهور الصاخب السعيد بالاستماع إلى خطبة جميلة من أميرهِ المحبوب ، فتختلط الأمور جميعا وتتحول إلى كمّ مشعّث هائل من السعادة تعبّر عن نفسها دون كلام . . أما إن فارق هذا الخاتم إصبعى فليكن الموت جزائى وليكن من حقك أن تعلنى أن بسانيو قد لقى حتفه !

نيريسا : مولاى ومولاتى ، قد حان الآن الوقت لكى يهتف المتفرجون بعد أن تحققت آمالهم ، متمنين لكما الهناء الوفير . تهانينا لمولاى ومولاتى .

جراشيانو : سيدى بسانيو ، سيدتى الرقيقة ، أتمنى لكما كل البهجة التى يمكن أن تتمنّياها ، فأنا واثق أنكما لا تتمنيّان لنفسيكما أكثر مما أتمنّاه لكما . وإنى لأرجوكما حين يحين موعد تتويج عهديكما بالزواج ، أن تسمحا لى أيضًا بالزواج فى نفس اليوم .

بسانيو : بكل سرور ، شرط أن توفّق فى العثور على زوجة .

جراشيانو : شكرا لك يامولاى ، فقد ساعدتنى فى العثور عليها . . فعيناى ليستا بأبطء من عينيك . . قد لمحتَ السيدة ولمحتُ أنا وصيفتها ، ووقعتَ فى

شباك الحب ووقعتُ . وتأخّرك فى عقد الزواج يعنى تأخّرى . فإن كان حظك متوقّفا على انتقائك من بين تلك الصناديق فكذا كان حظى على ما يبدو . ظللت أنشد ودّها حتى تصبب العرق من جبينى ، وأقطع على نفسى عهود الحب حتى جفّ حلقى . وأخيرًا حصلتُ من هذه الحسناء هنا على وعد مؤكد (إن كان ثمة وعد مؤكد) بأن تبادلنى الغرام شريطة أن توفق فى التزوّج من سيدتها .

بورشـــيا : أهذا حق يانيريسا ؟

نيريســـا : أجل ياسيدتى شرط موافقتك على ذلك .

بســـانيو : وفى نيتك ياجراشيانو أن توفى بعهدك ؟

جراشيانو : أقسم على ذلك بشرفى ياسيدى .

بســـانيو : سيكون لحفلنا شرف زواجكما خلاله .

جراشيانو : وسنراهنهما يانيريسا على ألف دوقية أيّنا سينجب أول ولد .

نيريســـا : فالرهان إذن قائم ؟

جراشيانو : لو لم يقم وينتصب لخسرنا الرهان . ولكن ، من هؤلاء ؟ إنه لورينزو وفتاته الكافرة ، ومعهما صديقى البندقى القديم ساليريو .

(يدخل لورينزو وجيسيكا ومعهما ساليريو ، رسولا من البندقية)

بســـانيو : مرحبا بكما أى لورينزو وساليريو ، إن كانت حداثة وضعى هنا تخوّل لى حق الترحيب بكما . إئذنى لى أيتها العزيزة بورشيا أن أرحّب بصديقىّ ومواطنىّ .

بورشـــيا : وأشاركك ياسيدى فى هذا الترحيب فقد أسعدنا قدومهما .

لورينزو : شكرا لك ياسيدتى . أما عنى ياسيدى فما كان فى نيتى أصلاً أن ألاقيك هنا لولا أنى قابلت ساليريو فى الطريق فألحّ علىّ إلحاحًا لم أستطع مخالفته أن آتى معه .

ساليريو : قد ألححت عليه ياسيدى لسبب معين (يناوله رسالة) هى من السنيور أنطونيو الذى ينقل تحياته إليك .

بســـانيو : خبّرنى ـ قبل أن أفتح الخطاب ـ كيف حال صديقى العزيز ؟

ساليريو : ليس عليلاً ما لم يكن عقله مصدر علّته ، ولا هو معافى ما لم يُعنه عقله على المرض . وستوضّح لك رسالته الحال الذى هو فيه .

(يفض بسانيو الرسالة)

جراشيانو : رحّبى يانيريسا بهذه الفتاة الغريبة هنا وأحسنى استقبالها . . ناولنى يدك ياساليريو أصافحك . ما الأخبار من البندقية ؟وكيف حال شيخ التجار الطيب أنطونيو ؟ أنا واثق من أن نجاحنا هنا سيسعده . فقد وُفّقنا ، شأن جيسون ، فى الظفر بالجزة الذهبية .

ساليريو : لوددت أنكم قد ظفرتم بما خسره أنطونيو .

بورشـــيا : ثمة أنباء محزنة فى تلك الرسالة التى امتقع وجه بسانيو لقراءتها . لابد أن صديقًا عزيزًا له قدمات ، فما بوسع أى أمر آخر فى الدنيا أن يخلّ هكذا من توازن مثل هذا الرجل الوقور . . وأنباء أسوأ وأسوأ ؟ . . بعد إذنك يابسانيو . . إنى شريكة حياتك ، ولابد من مشاركتك فيما حملته إليك هذه الرسالة .

بســـانيو : آه ياعزيزتى بورشيا . فيها كلمات هى أبشع ما خطّه قلم فى ورق . سيدتى الرقيقة : تذكرين أنى حين كاشفتك بحبى لأول مرة تطوّعتُ بإخطارك أننى لا أملك من متاع الدنيا غير الدم فى عروقى . كنتُ أمينا إذ أخبرتك بهذا ، وكان قولى صدقا . غير أنى ياسيدتى حين قلت إنى فقير معدم كنتُ أحجب الحقيقة كما سترين . فحين أخبرتك أنى لا أملك شيئًا ، كان من واجبى أن أقول إنى أبأس حالا من الفقير المعدم . فالواقع أنى قد اقترضت أموالا من صديق عزيز ، ودفعت هذا الصديق إلى الاقتراض من عدو شرس له حتى يلبى احتياجاتى . وها هى رسالة ياسيدتى ، كل كلمة فيها كالجرح الغائر يقطر دما . . ولكن ، أصحيح هذا ياساليريو ؟

أأخفقت كل تجاراته ؟ لم يكتب لأيها النجاح ؟ لا سفنه القادمة من طربلس ، أو المكسيك ، أو انجلترا ، أو لشبونة ، أو المغرب ، أو الهند ؟ أما من سفينة واحدة نجت من تلك الصخور التى تودى بجهد التجار ؟

ساليريو : ما من سفينة نجت ياسيدى . كذلك يبدو أنه حتى لو كان لديه من المال ما يسدّد به دينه لليهودى فإن اليهودى سيرفض أخذه . . أقسم أنى ما رأيت فى حياتى مخلوقا فى صورة إنسان بمثل هذه الشراسة والتعطش إلى الفتك بإنسان آخر . إنه يطارد الدوق بإلحاحه ليل نهار ، ويتهم الدولة بخيانة قوانينها إن لم تنصفه العدالة . وقد سعى عشرون من التجار ، والدوق نفسه ، وأكبر وجهاء البندقية فى سبيل إقناعه ، فما أفلح واحد منهم فى أن يصرفه عن مطالبته الحقودة بتوقيع الجزاء ، وتطبيق العدالة ، والالتزام بشروط العقد .

جيسيكا : سمعتُه حين كنت أقيم معه يقسم لطوبال وشوس ، وهما من مواطنيه ، أنه يفضل الحصول على لحم من جسد أنطونيو على عشرين ضعف المبلغ الذى يدين به له . وإنى لواثقة ياسيدى من أن مصير أنطونيو سيكون مظلما إذا رضخ القانون والسلطة والحكومة لمطلب أبى .

بورشيا : أهو صديقك العزيز هذا الذى وقع فى هذه الورطة ؟

بسانيو : بل أعز أصدقائى ، وأطيب الناس قلبا ، وأرقهم طباعا ، وأسعاهم فى خدمة الآخرين ، وأكثر أهل إيطاليا تمتعا بسجايا الشرف التى عرفتها روما القديمة .

بورشيا : كم المبلغ الذى اقترضه من اليهودى ؟

بسانيو : اقترض ثلاثة آلاف دوقية ليعطينى إياها .

بورشيا : ثلاثة آلاف فقط ؟ أعطه ستة آلاف ومزّق العقد . أعطه ضعف الستة آلاف، أو ثلاثة أضعافها ، حتى لا يفقد صديق بهذه الصفات شعرة واحدة من شعره بسبب غلطة من بسانيو . . ولكن لنذهب أولا إلى الكنيسة فتجعلنى زوجا لك ، ثم امض بعد ذلك إلى صديقك فى

البندقية . غير أنك لن تضاجع بورشيا أبدا وأنت قلق البال . سأزوّدك بذهب كاف لدفع عشرين ضعف ذلك الدَّين الضئيل ، حتى إذا ما دفعته عدت إلىّ مع صديقك الوفىّ . وسأعيش ووصيفتى نيريسا أثناء غيابكم عيش الأبكار والأرامل . هيا إذن ! فقد كُتب عليك أن ترحل يوم زفافك . . رحّب بصديقك وأزل عن وجهك عبوسه . وأما حبى لك فسيكون بقدر ما تعبتُ فى سبيل الظفر بك . . ولكن لتسمعنى أولا ما كتبه صديقك فى خطابه .

بسانيو : (يقرأ) « عزيزى بسانيو . قد تحطمت سفنى جميعا ، وغلبت القسوة على دائنىّ وتدهورت أحوالى . قد حلّ أجل الوفاء بدينى لليهودى ولم أوف به . وحيث أنى لا محالة ميت متى نُفّذت شروط العقد ، فإنى أعفيك من كافة ديونك لى شرط أن أراك قبل موتى . ومع ذلك فإنى لا ألحّ . فإن لم يكن فى حبّك لى حافز كاف على المجيء ، فلا تجعل رسالتى حافزًا عليه » .

بورشيا : حبيبى ! عجل بإنهاء أشغالك وسافر إليه .

بسانيو : سأعجّل بالسفر ما دمتِ قد أذنتِ لى بالذهاب . وأعاهدك ألا أبيت فى فراش أو أعرف الراحة حتى نلتقى بعد غياب .

(يخرجـون)

المشهد الثالث

البندقية

(يدخل شايلوك اليهودى ، وسولانيو ، وأنطونيو ، والسجّان)

شايلوك : حذار أن يُفلت أيها السجّان . ولا تحدّثنى عن الرحمة ، فهو الأبله الذى كان يُقرض المال دون فوائد . حذار أن يهرب منك .

أنطونيو : أى شايلوك الطيب ، إسمعنى .

شايلوك : ستُنفَّذ شروطُ العقد ، فلا أسمعنّك تسفِّهها . وقد أقسمت على نيل حقى . . كنت تدعونى كلبا قبل أن يكون لديك سبب يدفعك إلى هذا . وحيث أنى كلب فاحذر من أنيابى . وسيلتزم الدوق بمقتضيات العدالة . . إنى لأعجب منك أيها السجان الخبيث إذ تبلغ منك الحماقة حدّ الخروج به من السجن استجابة لطلبه .

أنطونيو : أتوسل إليك أن تسمعنى .

شايلوك : سأنال حقى ولن أسمعك . ستُنفَّذ شروط العقد فلا معنى لمزيد من الكلام . ولن أسمح لنفسى بأن ألين وأن أُخدع ، فأهز رأسى وأتراجع وأتنهد وأستجيب لشفاعة مسيحيين . . لا تتبعنى ! فما أقبل حديثًا منك . وسأنال حقى . (يخرج)

سولانيو : ما عرف الناس بينهم من هو أكثر عنادًا من هذا الكلب .

أنطونيو : دعه وشأنه . ولن ألاحقه بعد الآن بتوسلات لا طائل من ورائها . إنه يريد قتلى وأنا أعلم السبب جيدًا . فقد سبق لى أن أنقذت الكثيرين ممن جاءوا يطلبون عونى من عقوبة الإخلال بالعقود . وهو يكرهنى لذلك .

سولانيو : أنا واثق من أن الدوق لن يسمح أبدًا بتوقيع العقوبة عليك .

أنطونيو : ليس بوسع الدوق أن يغير من مجرى العدالة . فلو أن أىّ محاولة تمت للحدّ من امتيازات الأجانب هنا فى البندقية ، للحق سمعتها فى مجال احترام القانون ضرر كبير ، علما بأن تجارة المدينة وثراءها يتوقفان على مبدأ المساواة بين أهلها والأجانب . فامض إذن . لقد تسببت أحزانى وخسائرى فى نحول جسدى حتى لأشك فى استطاعتى أن أقدّم رطلاً من اللحم غدا إلى دائنى المفترس . هيا إذن أيها السجان . وعسى أن يأتى بسانيو حتى يرانى أسدد دينه ، ثم لن يهمنى بعد هذا شىء .

(يخرجون)

المشهد الرابع

بلمونت

(تدخل بورشيا ، ونيريسا ، ولورينزو ، وجيسيكا ، وبلتازار خادم بورشيا)

لورينزو : ما يشجعنى على هذا الحديث ياسيدتى هو فهمك الصحيح النبيل لعاطفة الصداقة الإلهية ، وهو فهم يبدو فى أقوى صوره فى احتمالك غياب زوجك . بيد أنك لو عرفت الشخص الذى بذلت من أجله هذه التضحية وتحاولين مساعدته ، وعرفت مدى حبه لمولاى زوجك ، لكنت أكثر اعتزازًا بفعلتك هذه من أى صنيع عادى قد تضطرك الظروف إلى إسدائه .

بورشيا : ما ندمت قط على صنع الخير ، ولا فى اعتزامى أن أندم على ما صنعته الآن . فالأصدقاء الذين يتحادثون ويقطعون الوقت معا ، والذين يحمل بعضهم لبعض نفس القدر من المودة ، لابد أنهم متشابهون فى المظهر والمسلك والروح . وهو ما يجعلنى أعتقد أن أنطونيو هذا ، صديق زوجى الصدوق ، لابد شبيه بزوجى . فإن كان ذلك كذلك فما أبخس الثمن الذى دفعته فى سبيل إنقاذ شبيه حبيبى من براثن قسوة الجحيم . غير أنى إنما أمدح نفسى بهذا القول ، فلأكفّ عنه ، ولتستمع منى إلى أمور أخرى . . إنى أعهد إليك يالورينزو برعاية منزلى وإدارته إلى حين عودة زوجى . أما عنى فقد نذرت لله نَذْرا خفيا أن أقضى مع نيريسا مدة غياب سيدى فى الصلاة والتأمل وحدنا ، وسنسكن أثناءها ديرًا على بعد

ميلين من هنا . . وإنى لآمل ألا ترفض الاضطلاع بهذه المهمة التى يفرضها علىّ الآن حبى وبعض الضرورات الأخرى .

لورينزو : سأطيعك ياسيدتى من كل قلبى فى كل ما تأمرين به .

بورشيا : قد أخطرتُ أهل الدار بما اعتزمته ، وسيطيعونك وجيسيكا طاعتهم للسيد بسانيو ولى . فوداعا إذن حتى نلتقى .

لورينزو : صحبتك السعادة وهناء البال .

جيسيكا : ولتنعم سيدتى بكل ما يشتهيه قلبها .

بورشيا : أشكركما على تمنياتكما لى ، وهى تمنياتى لكما أيضًا . . إلى اللقاء ياجيسيكا . (تخرج جيسيكا ولورينزو) والآن يابالتازار . قد عهدتك دوما أمينا وفيا ، فلتكن الآن شأنك دائمًا . . خذ هذه الرسالة ، وامض بها بأسرع ما فى وسع إنسان ، إلى مدينة بادوا ، ثم سلّمها فى يد ابن عمى الدكتور بيلاّريو ، وخذ منه المذكرات والملابس التى سيعطيك إياها ، ثم أحضرها إلىّ بأقصى سرعة تتخيلها إلى مرفأ السفن المتوجهة إلى البندقية . لا تضع الوقت فى الحديث واذهب ، وسأكون فى المرفأ قبل وصولك إليه .

بالتازار : سأسرع يامولاتى . (يخرج)

بورشيا : هيا يانيريسا . فلدىّ الآن مهمة لا علم لك بها . وسنرى زوجينا قبل أن نخطر بباليهما .

نيريسا : هل سيروننا ؟

بورشيا : أجل يانيريسا ، ولكن فى ملبس يوحى إليهما بأن لدينا ما ليس لدينا . وأراهنك على أى شىء تريدين أننى متى ما لبسنا ملابس الرجال . سأبدو أكثر وسامة منك ، وأكثر اعتيادا على حمل الخنجر منك . سأتكلم بصوت المراهق الرفيع الحاد ، وأخطو خطوة الرجال الواسعة مقابل كل خطوتين أنيقتين للنساء ، وأتحدّث عن شجاراتى حديث

الشاب القوى المزهوّ بنفسه ، وآتى بالأكاذيب الظريفة عن كيف وقعت سيدات محترمات فى غرامى ، وكيف مرضن ومُتن حين أبيتُ أن أبادلهن الحب ، وأقول إنى لم أستطع إجبار نفسى ، غير أنى نادم وكم أتمنى رغم ذلك كله أنى لم أقتلهن . . سأروى عشرين من هذه الأكاذيب الصغيرة حتى لَيعتقد الرجال أننى توقفت عن الدراسة بعد اثنى عشر شهرًا فحسب . . وفى ذهنى ألف حيلة ساذجة سأمارسها . من حيل هؤلاء الأوغاد المتباهين بمغامراتهم .

نيريســا : سيكون مرادنا إذن هو هيئة الرجال ؟

بورشــيا : ويل لك ! أىّ سؤال هذا ؟ آه لو كان قد سمعه رجل شبق يسىء تفسيره! ولكن هيا ، وسأحيطك علما بخطتى كلها ونحن فى العربة التى تنتظرنا عند بوابة الحديقة . أسرعى إذن . فعلينا أن نقطع اليوم مسافة عشرين ميلاً .

(تخرجـان)

المشهـد الخامس

بلمــونــت

(يدخل القروىّ لانسلوت وجيسيكا)

لانسلوت : مـا أقول غير الصـدق . فخطـايا الأب تقـع على رءوس أبنائهم . ولهذا فإنى قلق عليك ، صدّقينى . لقد كنت دائمًا صريحًا معك ، وها أنا الآن أعبر عن مخاوفى فى هذا الشأن . فابتسمى إذن وافرحى ، فإنه واثق من أنك ملعونة إلى آخر الدهر . وليس هناك غير أمل واحد قد ينجيك ، غير أنه حتى هذا الأمل أمل غير شرعى .

جيسيــكا : وأىّ أمل هذا ؟

لانسلوت : يمكنك أن تأملى ألا يكون والدك هو والدك ، وألا تكونى ابنة اليهودى .

جيسيــكا : إنه حقا أمل غير شرعى . حينئذ تقع خطايا الأم على رأسى .

لانسلوت : هذا حق . فأنت إذن ملعونة من الجهتين : الأب والأم ، إن تجنبّتِ الرمضاء (وهى أبوك) وقعت فى النار التى هى أمك . وبهذا يكون مصيرك مظلما فى الحالين .

جيسيــكا : سيُنْجينى زوجى الذى جعلنى أتحوّل إلى المسيحية .

لانسلوت : وهذه غلطة أخرى منه . فقد كان عدد المسيحيين قبل انضمامك إليهم أكبر من أن يسمح لهم بالعيش معا دون مشاكل . وتحويل الناس إلى

المسيحية لابدّ سيرفع من ثمن الخنازير . فإن كنا جميعًا سنأكل من لحمها، فعما قريب لن يكون بوسع الفرد منا أن يشترى ولو قطعة صغيرة يشويها .

(يدخل لورينزو)

جيسيكا : سأخبر زوجى يا لانسلوت بما تقوله . وها هو ذا .

لورينزو : ستصيبنى الغيرة منك عما قريب يالانسلوت إن أنت أكثرت من خلواتك هذه مع زوجتى .

جيسيكا : لا داع لهذه المخاوف يالورينزو فقد تشاجرتُ مع لانسلوت . إنه يخبرنى صراحَةً ألا أتوقع رحمة من السماء لأنى ابنة يهودى ، ويقول إنك مواطن غير صالح فى المجتمع إذ تحوّل اليهود إلى الديانة المسيحية فيرتفع بذلك ثمن لحم الخنزير .

لورينزو : أستطيع الدفاع عن موقفى هذا أمام المجتمع أكثر مما تستطيع أنت الدفاع عن تسبّبك فى حمل الفتاة الزنجية . فجارية أمير مراكش حامل منك يالانسلوت .

لانسلوت : قد يُحمل حَمْل المغربية على محمل الجدّ . غير أن وصفها بالعاهرة إن هو إلا وصفٌ مؤدّب لها .

لورينزو : قد بات بوسع كل أبله أن يتلاعب بالألفاظ ، حتى لأكاد أحسب أن الحكماء عما قريب سيفضلون الالتزام بالصمت ، تاركين الكلام للببغاوات وحدها . . امض ياهذا واطلب من الخدم الاستعداد للعشاء .

لانسلوت : هم مستعدون له بالفعل ياسيدى ؛ فهم جوعى .

لورينزو : يا إلهى ! ما أسرع بديهتك ! فاطلب منهم إذن إعداد العشاء .

لانسلوت : العشاء جاهز بالفعل . ولا ينقص غير الغطاء [1].

---

(١) يقصد غطاء المائدة .

لورينزو : عليك إذن بالغطاء .

لانسلوت : معاذ الله ياسيدى . فأنا أعرف حدودى [1].

لورينزو : ما كل هذا التحوير للمعانى ! أفى نيتك أن تفرغ أمامنا دفعة واحدة كل ما فى جعبتك من نكات ؟ أرجوك أن تفهم القصد الواضح لرجل واضح . . إذهب إلى الخدم واطلب منهم فرش غطاء المائدة ، وتقديم اللحم ، وسندخل للعشاء .

لانسلوت : فأما المائدة ياسيدى فستقدَّم ، وأما اللحم فسيغطَّى ، وأما دخولكما فمتروك لكما . (يخرج)

لورينزو : ما أسرع بديهته وأبرع تلاعبه بالألفاظ ! لقد حشد هذا المهرج فى ذاكرته مئات الردود المنتخبة . وإنى لأعرف الكثيرين من المهرجين من أمثاله ، يشغلون مراكز أرفع من مركزه ، ويلبسون مثله لباس المهرجين ، ويستخدمون العبارات الغامضة تجنبا للإفصاح عن معان صريحة . . . ولكن ، كيف حالك أنت ياجيسيكا ؟ خبرينى ياحبيبتى عن رأيك فى زوجة بسانيو .

جيسيكا : تجلّ عن الوصف . فأما وقد نال بسانيو هذه النعمة فى صورة زوجة ، فما أخلقه بأن يعيش حياة قويمة ! إنه يستمتع بنعيم الجنة هنا فى الأرض ، فإن لم يكن أهلاً لهذا النعيم فى الأرض فلن يكون من حقه دخول الجنة . ولو تنافس إلهان فى السماء وتراهنا على امرأتين فى الأرض أيهما أفضل ، ثم اختار أحدهما بورشيا ، لكان على الثانى أن يضيف شيئًا ثمينًا إلى المرأة الثانية حتى لا يخسر رهانه . فما هناك امرأة فى كل هذه الدنيا تعادلها فى القدر .

لورينزو : وما هناك زوج فى كل هذه الدنيا يعادلنى فى القدر .

---

(١) هنا يتظاهر لانسلوت بفهم قولة لورينزو على أنها أمر منه بتغطية الرأس (أى لبس القبعة) ، وهو ما لا يجوز للخادم فعله فى حضرة سيده .

جيسيكا : إسألنى أنا عن ذلك .

لورينزو : سأسألك بعد قليل . ولكن لندخل أولا لتناول العشاء ، فنُخمد شهوتنا إلى الطعام .

جيسيكا : خير لك أن تسمع مديحى قبل إخماد الشهوة !

لورينزو : بل فلنجعل هذا موضوعنا أثناء العشاء . ومهما قلتِ عندئذ فسألتهمه التهاما مع الطعام .

جيسيكا : فإلى التهام المديح والطعام معا إذن !

(يخرجـان)

الفصـل الرابـع

المشهـد الأول

إحـدى المحـاكم بالبنـدقيــة

(يدخل الدوق ، وكبار النبلاء ، وأنطونيو ، وبسانيو ، وجراشيانو وساليريو ، وآخرون)

الـدوق : أأنطونيو هنا ؟

أنطونيو : هنا يامولاى .

الـدوق : إنى آسف من أجلك . فأنت تواجه تهمة خصم له قلب من حجارة ، خال من الإنسانية ، مجرد من الإحساس بالشفقة ، عارٍ من أدنى مسحة من الرحمة .

أنطونيو : وصلنى أن فخامتكم قد بذلتم جهدًا كبيرًا فى سبيل إثنائه عن نيته الرهيبة . ولكن حيث أنه مصمم على اقتضائه حقه ، وليس ثمة وسيلة قانونية بوسعها أن تنقذنى من براثن غلّه ، فإنى أتذرع بالصبر فى مواجهة حقده، وأتسلّح به حتى أواجه استبداده وحقده بنفس هادئة .

الـدوق : فليمض أحدكم لاستدعاء اليهودى إلى قاعة المحكمة .

ساليريو : إنه بالباب ، وها هو قادم يامولاى .

(يدخل شايلوك)

الـدوق : أفسحوا مكانا له حتى يقف قبالتنا . . شايلوك ، الناس تعتقد ، وكذا

أعتقد أنا ، أنك إنما تتظاهر بكل هذا الحقد ، وستظل تتظاهر به حتى قرب النهاية ، ثم تُظهر الرحمة والشفقة بصورة أغرب من صورة قسوتك الشاذة البادية . ويقولون إنه بالرغم من مطالبتك الآن بتوقيع العقوبة ، وهى اقتضاء رطل من لحم هذا التاجر المسكين ، فإنك لن تتخلى فقط عن هذه المطالبة ، بل وستستجيب لداعى الرحمة الإنسانية والمحبة ، فتتنازل له عن جزء من أصل الدين ، مشفقًا عليه بسبب خسائره التى قصمت ظهره فى الفترة الأخيرة . إنها خسائر كفيلة بأن تزعزع مركز أعظم التجار شأنا ، وأن تثير الإشفاق عليه فى أقسى الصدور وأغلظ القلوب ، ولدى الترك والتتر العنيدين الذين لم يعرفوا قط واجب المعاملة المتمدينة مع الآخرين . . وها نحن أيها اليهودى ننتظر منك ردًا جميلاً .

شايلوك : قد سبق لى أن عبّرت لفخامتكم عن نواياى ، كما سبق أن أقسمت بالسبت المقدس أنى سأطالب بحقى الذى حلّ أجله . فإن أبيتم إعطائى حقى فالويل لقوانين مدينتكم وحرياتها ! ستسألوننى لماذا أفضل رطلاً من اللحم على ثلاثة آلاف دوقية . غير أنى لن أجيب . قولوا إنها نزوة منى . أفى هذا إجابة شافية ؟ لنفرض أن فى بيتى فأرا فاخترت أن أنفق عشرة آلاف دوقية فى سبيل الإمساك به . أفى هذا إجابة شافية ؟ من الناس من لا يحب منظر الخنزير المشوىّ فاغر الفم ، ومنهم من يجن جنونه إن لمح قطة ، ومنهم من إذا سمع موسيقى القِرَب بال على نفسه . فميولنا كثيرًا ما تتحكم فى عواطفنا فتحدد لنا ما نحب وما نكره . والآن أجيب على سؤالكم : حيث أنه ما من سبب قوى وراء كراهية هذا لمنظر الخنزير فاغر الفم ، أو ذاك لقطة تنفع ولا تضر ، أو ذاك لقربة من صوف ، وهى كراهية تضطرهم إلى معاناة عار مؤكد من جراء تصرف يضايق الناس مثلما يضايقهم هم أنفسهم ، فكذلك أنا ، ليس بوسعى أن أجيب على سؤالكم ولن أجيب عليه . وإنما هى كراهيةٌ دفينة وبغضٌ أحملها لأنطونيو ، ويدفعانى إلى المضى فى قضية ضده فيها خسارة لى . أفى هذا إجابة شافية ؟

بسانيو : ليست إجابة شافية أيها الإنسان الخالى من الإحساس ، ولا إجابة تبرر قسوتك .

شايلوك : لستُ مضطرا إلى إرضائك بإجاباتى .

بسانيو : هل يقتل الناس كل ما لا يحبون ؟

شايلوك : هل يكره الناس شيئًا ولا يحبون قتله ؟

بسانيو : ما كل إساءة بداعٍ إلى الكراهية .

شايلوك : أتقبل إذن أن تُلدغ من الجُحر مرتين ؟

أنطونيو : أرجوك أن تتذكر أنك إنما تجادل يهوديًا . وهو ما يماثل وقوفك على ساحل البحر طالبا من المدّ ألا يبلغ ارتفاعه المألوف ، أو سؤالك الذئب لم تسبّب فى بكاء النعجة على الحمل ، أو تحذيرك لأشجار الصنوبر الجبلية من أن تهتز رؤوسها أو أن يصدر حفيف منها إذا هبت عليها عواصف السماء . . بوسعك أن تنهض بأى أمر مهما بلغت صعوبته إلا أن ترقّ من قلبه اليهودى الذى لا يعادله قلب فى قسوته . ولذا فإنى أتوسل إليكم ألا تبذلوا أى جهد آخر ، وألا تلجأوا إلى أية وسيلة أخرى ، وأن تختصروا الإجراءات وتصدروا مباشرة حكمكم علىّ ، حتى ينال اليهودى غرضه .

بسانيو : هذه ستة آلاف دوقية مقابل آلافك الثلاثة .

شايلوك : لو أن كل دوقية من هذه الآلاف الستة تحوّلت إلى ستة أجزاء ، كل جزء منها دوقية ، لما أخذتها ، ولظللت أطالب بتنفيذ شروط العقد .

الدوق : كيف سيكون إذن بوسعك أن تطلب لنفسك الرحمة وأنت لا ترحم الآخرين؟

شايلوك : وأىّ حكم أخافه ولم أرتكب خطأ ؟ إن لديكم عبيدًا كثيرين اشتريتموهم بأموالكم ، وتعاملونهم معاملة الحمير والكلاب والبغال ، وتستخدمونهم للقيام بواجبات مهينة قذرة لمجرد أنكم اشتريتموهم . فهل من حقى أن أقول لكم : « حرّروهم ! زوّجوهم من ورثتكم ! لماذا تسمحون بأن

يزرحوا تحت أعبائهم وأن يتصبّبوا عرقا ؟ فلتكن أسرّتهم ناعمة كأسرّتكم ، وطعامهم شهيا كطعامكم ! » ؟ ستجيبوننى بقولكم : « العبيد عبيدنا » . وكذا أجيبكم . فرطل اللحم الذى أطالبه به قد بذلت فيه ثمنا غاليا . فهو لى إذن ، وسآخذه . فإن أبيتم فاللعنة على قوانينكم ، قوانين البندقية التى لا تطبّق . إنى أطالب بالعدالة . أجيبونى : هل سأنالها ؟

الدوق : من حقى أن أصرف هذه المحكمة ، وسأصرفها ما لم يحضر إلينا اليوم العلاّمة بيلاّريو الذى أرسلت فى طلبه لحسم القضية .

ساليريو : مولاى ! فى الخارج رسول يحمل خطابات من ذلك العلامة ، وقد وصل لتوّه من بادوا .

الدوق : هاتنا بالخطابات واستدع الرسول .

بسانيو : هوّن على نفسك يا أنطونيو واستجمع شجاعتك يارجل . وأعاهدك ألا تفقد قطرة واحدة من دمك قبل أن يظفر اليهودى منى بدمى ولحمى وعظامى وكل شىء آخر .

أنطونيو : ما أنا إلا كالشاة الموبوءة من دون القطيع أجمعه ، فلم أعد أصلح لغير الموت . إن أضعف الثمار أسرعها سقوطا من الشجرة . وهكذا أنا . وإن أفضل ما يمكنك صنعه يابسانيو هو أن تبقى على قيد الحياة لتكتب نعيى على قبرى .

(تدخل نيريسا متنكرة فى زىّ كاتب المحامى)

الدوق : أقادم أنت من بادوا من طرف بيلاريو ؟

نيريسا : من بادوا ومن طرف بيلاريو يامولاى . (تقدم إليه خطابا) . وبيلاريو يبعث إلى مولاى بتحياته .

بسانيو : لم تشحذ سكينك بهذه الهمّة ؟

شايلوك : لأقتطع حقى من ذلك المفلس هناك .

جراشيانو : أنت لا تشحذ السكين على نعلك أيها اليهودى القاسى وإنما تشحذه

على روحك . وما لأىّ معدن ولا حتى فأس الجلاد ما لحقدك من حدّة . أما بوسع أىّ توسل أن ينفذ إلى قلبك ؟

شايلوك : لا . لن ينفذ إلى قلبى أىّ ابتكار لفطنتك .

جراشيانو : عليك اللعنة أيها الكلب المقيت ! لقد أخطأت العدالة إذ سمحت لك بالعيش حتى الآن . وإنك لتكاد تفتننى عن دينى فأعتنق رأى فيثاغورس القائل بأن أرواح الحيوانات تنتقل للسكنى فى أجسام الآدميين . فما روحك الشريرة غير روح ذئب شنقوه لقتله آدميا [1] ، ثم طارت من المشنقة لتنتقل إليك وأنت فى بطن أمك العاهرة . ودليلى على ذلك أن رغائبك كلها رغائب دموية جائعة مفترسة كرغائب الذئب .

شايلوك : ما دمتَ عاجزًا بسبابك عن إزالة الخاتم عن صكى ، فما تؤذى بصراخك غير رئتيك . فحافظ على عقلك إذن أيها الشاب الطيب وإلاّ أصابه عطب لا شفاء منه . وأنا هنا إنما أطالب بتطبيق القانون .

الدوق : هذا الخطاب من بيلاريو يوصى محكمتنا بالاستماع إلى فقيه علامة شاب . . أين هو ؟

نيريسا : ينتظر قريبا من هنا حتى يسمع ما إذا كنتم ستأذنون له بالدخول .

الدوق : بكل سرور . ليذهب ثلاثة أو أربعة منكم للترحيب به واصطحابه إلى مكاننا . (يخرج بعض موظفى المحكمة) وستستمع المحكمة فى هذه الأثناء إلى نص رسالة بيلاريو . (يقرأ) :

« أحيط فخامتكم علما بأن خطابكم وصلنى وأنا فى فراش المرض . غير أن لحظة وصول رسولكم صادفت وجود فقيه شاب من روما ، واسمه بالتازار ، جاء ليسعدنى بزيارته . وقد شرحت له قضية الخلاف بين اليهودى وبين التاجر أنطونيو ، ثم شرعنا نقلّب الكتب سويّا . وقد

---

(١) كانت الحيوانات المفترسة تحاكم أحيانًا وتُعدم فى أوروبا لافتراسها آدميين ، وذلك حتى أواخر القرن السابع عشر .

زوّدته برأيى ، فعدّل منه بفضل علمه الواسع ، وهو علم لا أستطيع أن أوفيه حقه من المديح . وقد ألححت عليه أن ينقل إليكم نيابة عنى هذا الرأى الذى طلبتموه . وأملى ألا يحول صغر سنه دون نيله ما هو أهل له من الاحترام والتقدير . ذلك أنى لم أعرف فى حياتى إنسانا مثله يجمع بين نضارة الشباب وحكمة الشيوخ . لذلك أتعشم أن يلقى لديكم قبولا حسنا ، واثقًا من أن اختباركم إياه سيعزز من تقديركم له » .

(تدخل بورشيا متنكرة فى صورة الدكتور بالتازار ، يتبعها موظفو المحكمة)

قد استمعتم إلى ما كتبه بيلاريو . وأعتقد أن هذا هو الفقيه قد وصل . ناولنى يدك أصافحك . أقدمت من عند بيلاريو ؟

بورشيا : أجل يامولاى .

الدوق : مرحبًا بك . . خذ مكانك . أمحيط أنت بتفاصيل النزاع الذى تنظره هذه المحكمة الآن ؟

بورشيا : أحطت بتفاصيل القضية كلها . أيها التاجر هنا ، وأيها اليهودى ؟

الدوق : ليتقدم كل من أنطونيو وشايلوك .

بورشيا : إسمك شايلوك ؟

شايلوك : شايلوك هو اسمى .

بورشيا : لقضيتك طابع غريب . غير أن قوانين البندقية لا تملك أن تمنعك من السير فى إجراءاتها . . وأنت ! ألأنت الواقع تحت رحمته ؟

أنطونيو : كذا يقول .

بورشيا : أتعترف بصحة هذا الصك ؟

أنطونيو : نعم .

بورشيا : فلزام على اليهودى إذن أن يكون رحيما .

شايلوك : ما الذى يلزمنى بذلك ، خبّرنى ؟

بورشيا : لا دخل للإلزام فى مشاعر الرحمة . فهى تهبط من السماء كالرذاذ على ما تحتها . وهى تبارك الطرفين معًا : من كان مصدرها ومن كان موضعها . وهى تبدو فى أقوى صورها فى أقوى الناس ، فتزين الملك على عرشه أكثر مما يزينه تاجه . قد يكون صولجانه رمزًا لسلطته الدنيوية ومهابته وجلالته ؛ فهو مصدر خشية الناس وخوفهم من الملوك . أما الرحمة فأعلى شأنا من التاج والصولجان . إنها تجلس على عرش قلب الملك . وهى من صفات الله نفسه ، مما يجعل فى السلطة الدنيوية شبها بقدرة الله حين تجلّل الرحمة العدالة . . وحيث أنك أيها اليهودى تطالب بتحقيق العدالة ، فإنى أريدك أن تتدبّر هذه الحقيقة : وهى أننا إن التزمنا بالعدالة وحدها فلن يكتب لأحد منا الخلاص . إننا فى دعائنا نطلب لأنفسنا الرحمة . وهذا الدعاء ذاته يعلمنا واجب الإشفاق على الآخرين . وما أطلت حديثى هذا إلا لأحدّ من مغالاتك فى المطالبة بتطبيق العدالة . ذلك أنك إن مضيت فى طريقك هذا فلن تجد هذه المحكمة الصارمة هنا فى البندقية مفرا من الحكم ضد ذلك التاجر الواقف هناك .

شايلوك : أنا المسئول وحدى عن تصرفاتى . أريد تطبيق القانون وتوقيع العقوبة وتنفيذ أحكام العقد .

بورشيا : أما فى وسعه أن يسدّد الدين ؟

بسانيو : بل بمقدوره . وها أنا أسدّده نيابة عنه فى قاعة هذه المحكمة . بل أدفع ضعف المبلغ ، فإن لم يكفه فأنا على استعداد لأنه ألزم نفسى بدفع عشرة أضعافه بضمان يداى ورأسى وقلبى . فإن لم يرضه ذلك فسيكون واضحًا أن الحقد كانت له الغلبة على الأمانة . وإنى لأتوسل إليكم أن تستخدموا سلطانكم ولو مرة واحدة لتعطيل القانون ، وتقييد إرادة هذا الشيطان المريد . فلا شك فى أنه لابد من بعض الظلم من أجل تحقيق الخير الكبير.

بورشيا : هذا لا يجوز . فما من سلطة فى البندقية بوسعها أن تمس بقانون مستقرّ ،

وإلا شكّل ذلك العبث سابقة تعرف الدولة بعدها مزيدًا من خرق القوانين . هذا أمر لا يجوز .

شايلوك : هو دانيال نفسه قد أتى ليحكم ! أجل ، إنه دانيال بعينه ! ألا ما أجدرك بالتكريم أيها القاضى الشاب الحكيم !

بورشـيا : أرينى الصك لو سمحت .

شايلوك : ها هو ذا أيها الفقيه الموقر . هاك الصك .

بورشـيا : شايلوك ، إنهم يعرضون عليك ثلاثة أضعاف المبلغ .

شايلوك : لقد أقسمت ، أقسمت ، أقسمت بالله . فهل أحنث بيمينى فأهلك ؟ لا وحقك وإن وضعوا البندقية بأسرها فى يمينى .

بورشـيا : نعم لقد أخلّ التاجر بشروط الصك ، ولليهودى حق قانونى فى المطالبة برطل من اللحم يقتطعه من أقرب موضع إلى قلب التاجر . . كن رحيما ياشايلوك . خذ ثلاثة أضعاف المبلغ واسمح لى أن أمزّق الصك .

شايلوك : سأسمح بذلك بعد تنفيذ بنوده . . إنه ليبدو لى أنك قاض حصيف . فأنت تعرف القانون جيدًا ، وكان عرضُك له ممتازًا . ولذا فإنى أطالبك باسم القانون ـ وأنت العمدة الضليع فيه ـ أن نواصل متابعة القضية ، وأقسم بروحى أنه ما من قوة فى لسان مخلوق أن تحوّلنى عن رأيى . . وأنا هنا متمسك بحقى .

أنطونيو : من كل قلبى أتوسل إلى المحكمة أن تنطق بالحكم .

بورشـيا : إن كان الأمر كذلك فلتعدّ صدرك لاستقبال سكّينه .

شايلوك : ما أنبلك من قاض ، وما أعظمك أيها الشاب !

بورشـيا : فبمقتضى نص القانون يجب توقيع العقوبة المتفق عليها فى بنود الصك .

شايلوك : ما من شك فى ذلك . ألا ما أحكمك وأعدلك أيها القاضى . الظاهر أنك أكبر سنا بكثير مما توحى به ملامحك .

بورشـيا : إكشف إذن عن صدرك .

شايلوك : نعم . صدره . كذا يقول الصك . أليس كذلك أيها القاضى النبيل ؟ «من أقرب موضع إلى قلبه» ، كذا يذكر النص حرفيا .

بورشـيا : هو ذاك . أهنا ميزان لوزن اللحم ؟

شايلوك : قد أعددت الميزان .

بورشـيا : ولنستدع جرّاحا على نفقتك ياشايلوك ليوقف نزف جراحه حتى لا يموت .

شايلوك : أهذا مذكور فى الصك ؟

بورشـيا : لا . ولكنك تحسن صنعا إن فعلت ذلك من قبيل الشفقة .

شايلوك : لا أجد هنا هذا الالتزام . ليس مذكورًا فى الصك .

بورشـيا : وأنت أيها التاجر ، ألديك ما تريد قوله ؟

أنطونيو : بضع كلمات . إنى مستعد لمواجهة مصيرى وأنا هادئ البال . ناولنى يدك يابسانيو . وداعًا . لاتحزن إذ أصابنى ما أصابنى بسببك . فالقدر بذلك قد أثبت أنه أرحم مما هو فى العادة . فهو فى العادة يمدّ من عمر البائس بعـد فقدانه لثروته حتى يواجـه سنوات طويلة من الفقر بعين غائرة وجبين ملأته التجاعيد . وقد شاء القدر فى حالتى أن يجنّبنى طول احتمال مثل هذا العذاب . . أبلغ زوجتك الكريمة تحياتى ، وقصّ عليها تفـاصيل نهاية أنطونيو . . خبّرها بمـدى حبى لك ، واذكرنى بالخير بعد موتى . حتى إذا ما انتهيت من قصتك دعها تحكم بنفسها ما إن كان لك فى وقت ما صديق يحبك . . لا تأسف إلا على فقدانك الصديق ، فإن أطعت فلن يأسف الصديق على تأدية الدين نيابة عنك . فلو أن سكين اليهودى وصل إلى قلبى فسيبهج قلبى أن أعلم بأن الدين قد سُدّد .

بســانيو : لى يا أنطونيو زوجة أحبها حبى للحياة ذاتها . غير أن الحياة وزوجتى والدنيا بأسرها لا تساوى فى نظرى حياتك أنت . وإنى لعلى استعداد

لفقد كل شىء ، بل وللتضحية بكل هذا فى سبيل أن يتركك هذا الشيطان وشأنك .

بورشـــيا : لو أن زوجتك هنا وسمعت هذا العرض منك ، لما أسعدها ذلك .

جراشيانو : ولى أنا زوجة أحبها . ومع ذلك فليتها كانت فى العالم الآخر حتى تتوسل إلى أحد الكائنات السماوية أن يجعل اليهودى يتحوّل عن قراره .

نيريســـا : أحسنتَ إذ تعبر عن أمانيك من وراء ظهرها ، وإلاّ لكان أصاب حياتكما معًا شَرّ .

شـــايلوك : تفرّجوا على هؤلاء الأزواج المسيحيين ! إن لى ابنة أفضّل لها أن تتزوّج يهوديًا من نسل باراباس اللص [1]، على أن تتزوج من مسيحى . . غير أننا نضيّع الوقت . رجائى إذن إصدار الحكم .

بورشـــيا : من حقك اقتطاع رطل لحم من جسد التاجر المذكور . المحكمة تسمح بذلك ، والقانون يؤيده .

شـــايلوك : حكمتَ فعدلت !

بورشـــيا : وعليك أن تقتطع اللحم من صدره . . القانون يجيز ذلك والمحكمة تؤيده .

شـــايلوك : إنك لقاضٍ علاّمة ! قد صدرالحكم . هيا فلتستعدّ .

بورشـــيا : إنتظر لحظة ، فهناك شىء آخر . هذا الصك لا يجيز لك أن تأخذ قطرة واحدة من الدم . فنص الكلمات هو « رطل من اللحم » . نفّذ إذن شروط الصك وخذ الرطل من اللحم . غير أنك إن أرقت أثناء اقتطاعك إياه قطرة واحدة من دم مسيحى ، صودرت أملاكك وبضائعك بمقتضى قوانين البندقية ، وأضحت ملكا للدولة .

---

(١) هو اللص الذى خيّر بيلاطس اليهود بين إطلاق سراحه وإطلاق سراح المسيح ، فاختاروا إطلاق سراح باراباس .

جراشيانو : يالك من قاض عادل ! أليس كذلك أيها اليهودى ؟ يالك من قاض علامة !

شـــايلوك : أهكذا يقول القانون ؟

بورشـــيا : ستقرأ بنفسك المادة . فحيث أنك تلح فى طلب تطبيق القانون ، فتأكد أن تطبيقه سيكون أكثر مما تحب .

جراشيانو : يالك من قاض علاّمة ! أليس كذلك أيها اليهودى ؟ قاض علامة !

شـــايلوك : سأقبل إذن ما عُرض علىّ . هاتوا ثلاثة أضعاف قيمة الدين وليطلق سراح المسيحى .

بســـانيو : هاك المال .

بورشـــيا : انتظر ! بل سينال اليهودى حقه القانونى . انتظروا ولا تعجلوا . لن يأخذ غير ما نص عليه الصك .

جراشيانو : هو قاض عادل أيها اليهودى . قاض علامة !

بورشـــيا : فلتستعد إذن لاقتطاع اللحم . لا تسفك دما ولا تقتطع أقل أو أكثر من رطل واحد من اللحم . فإن أنت أخذت أكثر أو أقل من رطل بالضبط ، ولو بمقدار جرام واحد ، بل ولو بمقدار واحد على عشرين من الجرام ، بل ولو بمقدار شعرة واحدة يتحرك لها الميزان ، فيحكم عليك بالموت وبمصادرة كل ما تملك .

جراشيانو : إنه دانيال الجديد ! دانيال أيها اليهودى . الآن قد وقعت فى أيدينا أيها الكافر !

بورشـــيا : لماذا يتردد اليهودى ؟ خذ حقك .

شـــايلوك : أعطونى أصل الدين ودعونى أنصرف .

بســـانيو : المبلغ جاهز عندى . إليك هو .

بورشـــيا : لقد رفضه أمام المحكمة . ولن يأخذ غير ما يقضى به القانون وينص عليه الصك .

جراشيانو : هو دانيال دون شك . دانيال الجديد . شكرا لك أيها اليهودى لتعليمك إياى هذه الكلمة .

شـايلوك : ألا يُسمح لى باسترداد مجرد قيمة الدين ؟

بورشـيا : لن يسمح لك بغير رطل اللحم تأخذه على مسئوليتك أيها اليهودى .

شـايلوك : حسنا إذن . فليبارك له الشيطان فيه ! ولن أنتظر نهاية المحاكمة .

بورشـيا : انتظر أيها اليهودى . فثمة أمر آخر فى القانون يتعلق بك . ذلك أن قوانين البندقية تنص على أنه إذا ثبت أن أجنبيًا حاول ـ بشكل مباشر أو غير مباشر ـ أن يسلب حياة أحد مواطنيها ، فللشخص الذى تمت المحاولة ضده نصف ممتلكات المعتدى ، ويؤول النصف الثانى إلى خزانة الدولة ، ويضحى للدوق وحده دون أى طرف آخر أن يقضى بإعدام المعتدى أو إخلاء سبيله . وإنما ذكرتُ أن هذا القانون يسرى عليك لأنه من الواضح أنك قد حاولت بوسائل غير مباشرة ، بل وبوسائل مباشرة أيضًا أن تسلب المدعى عليه حياته ، وهو ما يدخل تحت طائلة قانون العقوبات المذكور آنفا . . إركع إذن واطلب الرحمة من الدوق .

جراشيانو : توسّل إليه أن يأذن لك بأن تشنق نفسك . ولكن ، حيث أن ثروتك آلت إلى الدولة ، فلن يكون لديك الآن ما يكفى لشراء حبل ، وهو ما يعنى أنك ستشنق على نفقة الدولة .

الـدوق : لكى ترى الفارق بيننا وبينك ، سأطلق سراحك من قبل أن تطلب منى ذلك . أما عن ثروتك فإن نصفها يؤول إلى أنطونيو ، ويؤول نصفها الثانى إلى خزانة الدولة ، ما لم تقدّم التماسًا باستبدال الغرامة بالمصادرة .

بورشيا : هذا عن النصف الثانى لا النصف الذى سيؤول إلى أنطونيو .

شايلوك : بل فلتأخذوا حياتى وكل شىء لى ، فلا أريد عفوكم . إنكم تأخذون منى منزلى إذا أخذتم الدعامة التى يستند منزلى إليها ، وتأخذون حياتى إذا أخذتم منى ما أتعيش به .

بورشيا : فما الذى يمكنك ياأنطونيو أن تقدمه إليه من قبيل الشفقة عليه ؟

جراشيانو : قدّم له حبلا بالمجّان ، ولا شىء آخر أرجوك .

أنطونيو : إذا قبل سيدى الدوق وهيئة المحكمة أن يعفى النصف الثانى من ممتلكاته من المصادرة أو الغرامة ، فإنى أقبل إدارة النصف الأول واستغلاله ، على أن أسلمه بعد وفاته إلى الرجل الذى تزوج مؤخرًا من ابنته دون رضاه . كل هذا بشرطين : أن يعتنق المسيحية مقابل هذا الفضل منى ، وأن يوقع على عقد هبةٍ هنا فى المحكمة يقضى بترك كل ما يملكه عند وفاته لابنته وزوجها لورينزو .

الـدوق : فإن لم يفعل هذا تراجعت عن العفو الذى أصدرته هنا عنه منذ لحظات .

بورشـيا : أتقبل هذا أيها اليهودى ؟ ما قولك ؟

شـايلوك : أقبل .

بورشـيا : حرّر أيها الكاتب عقد هبة .

شـايلوك : أرجوكم أن تسمحوا لى بالانصراف من هنا ، فقد أصابتنى وعكة . أرسلوا العقد إلىّ فى منزلى فأوقّع عليه .

الـدوق : إنصرف إذن ، وحذار ألا توقع عليه .

جراشيانو : ستحتاج عند تعميدك إلى شاهدين . ولو كنتُ أنا القاضى لقضيتُ بتعيين عشرة آخرين حتى يحكموا بشنقك لا بتعميدك [1] .

(يخرج شايلوك)

الـدوق : سيدى ، أرجوك أن تقبل الدعوة إلى تناول العشاء معى فى دارى .

بورشـيا : أرجوك أن تعفينى . فعلىّ أن أسافر الليلة إلى بادوا، والواجب أن أتحرّك الآن .

الـدوق : آسف إذ لا يسمح وقتك بهذا . أنطونيو ! عليك بمكافأة هذا السيد ، ففى اعتقادى أنك مدين له بالكثير .

(يخرج الدوق وحاشيته)

(١) « تعيين عشرة آخرين » : حتى يصبح العدد ١٢ وهو عدد هيئة المحلفين فى المحكمة .

بسانيو : سيدى الفاضل ، لقد أنقذتنى وأنقذت صديقى بحكمتك وجنّبتنا متاعب خطيرة . فاسمح لنا بأن نكافئك على جهودك الحميدة بمبلغ الثلاثة آلاف دوقية المستحقة لليهودى .

أنطونيو : وسنظل مدينين لك علاوة على ذلك بحبنا وخدماتنا مدى الحياة .

بورشيا : رضا المرء عن عمله هو خير مكافأة له عليه . وإذ أنا راض عن جهدى لإنقاذك ، فإنى أعتبر هذا الرضا جزاءً وافيًا ، علما بأنى ما كنت فى الماضى أتوقع مكافأة على عمل لى مثلما توقعت هذه المرة . . تذكّرانى إن نحن التقينا مرة أخرى . تمنياتى الطيبة لكما ، وإلى اللقاء .

بسانيو : سيدى العزيز ، إنى لأجده لزاما علىّ أن أحاول مرة أخرى إقناعك ولو بقبول تذكار صغير منا ما دمت لا تقبل الأجر . وإنى لأرجوك أن تسعدنى بأمرين : ألا ترفض عرضى ، وأن تعفو عنى .

بورشيا : ما دمت تلحّ علىّ فسأقبل . (لأنطونيو) أعطنى قفّازك وسألبسه من قبيل الذكرى . (لبسانيو) ومن قبيل مبادلتك الودّ سآخذ هذا الخاتم منك . . لم تسحب يدك هكذا ؟ لن آخذ أكثر من هذا الخاتم . ولا أظنك تضنّ علىّ به رمزًا لمودّتك .

بسانيو : هذا الخاتم ياسيدى ؟ إنه للأسف خاتم رخيص الثمن أخجل من أن أقدمه هدية لك .

بورشيا : لن آخذ غيره . وأظننى قد بتّ مصرّة على نيله .

بسانيو : لهذا الخاتم أهمية عندى تتجاوز ثمنه . وإنى لعلى استعداد أن أقدّم لك أثمن خاتم فى البندقية ، وأن أبعث رسلى فى طلبه ، على أن تغفر لى احتفاظى بهذا .

بورشيا : أراك ياسيدى سخيا بوعودك . علّمتنى أولا أن أتوسل ، وها أنت تعلمنى فيما يبدو كيفية الردّ على المتسوّل .

بسانيو : سيدى ، هذا الخاتم أعطتنى زوجتى إياه . وقد جعلتنى وهى تضعه فى إصبعى أقسم بأنى لن أبيعه ولن أهبه ولن أضيّعه .

بورشـيا : كثيرون من الرجال يعتذرون بهذا العذر من أجل الاحتفاظ بما يملكون . فإن كانت امرأتك عاقلة وعرفتْ أىّ جهد أستحق من أجله هذا الخاتم ، فلن يطول أمد غضبها عليك إذ أعطيتنى إياه . . حسنا . . إلى اللقاء إذن .

(تخرج بورشيا ونيريسا)

أنطونيو : أعطه الخاتم ياعزيزى بسانيو . فلاشك أن جدارته ومودّتى يرجحان أمر زوجتك .

بسانيو : أسرع يا جراشيانو والحق به واعطه الخاتم . . حاول أيضًا أن تأتى به إلى منزل أنطونيو . هيا أسرع !

(يخرج جراشيانو)

هيا نذهب معا إلى دارك الآن ، وفى الصباح الباكر نطير سويا إلى بلمونت . هيا يا أنطونيو .

(يخرجـان)

المشهد الثانى
البندقيــــة

(تدخل بورشيا ونيريسا)

بورشـــيا : استفسرى عن مكان بيت اليهودى ، وأعطيه هذا العقد واطلبى منه أن يوقع عليه . سنسافر هذه الليلة ، فنصل قبل وصول زوجينا بيوم واحد . لاشك فى أن لورينزو سيسرّه هذا العقد .

(يدخل جراشيانو)

جراشيانو : يسرنى أن استطعت اللحاق بك ياسيدى . لقد أعاد مولاى بسانيو التفكير فى الموضوع وقرر إرسال الخاتم إليك ، راجيا منك قبول دعوته إلى العشاء معه .

بورشـــيا : لن أتمكن للأسف من قبول الدعوة . أما الخاتم فأقبله شاكرة ممتنة . خبّره بذلك . ورجائى أيضًا أن تدلّ غلامى على موقع دار شايلوك العجوز .

جراشيانو : سأفعل .

نيريســا : (لبورشيا) أريد كلمة معك ياسيدى . (جانبا) سأرى ما إذا كان بمقدورى أن آخذ خاتم زوجى الذى جعلتُه يقسم أن يحافظ عليه .

بورشـــيا : لتفعلى . وقد تنجحين . وعندئذ سيقسمان لنا أنهما إنما أعطيا الخاتمين لرجلين ، فنتحدّاهما ونقسم من جانبنا أنهما كاذبان . . أسرعى إذن بالذهاب . وأنت تعرفين المكان الذى سأنتظرك عنده .

نيريســا : (لجراشيانو) هيا ياسيدى ، ودلّنى على منزله . (يخرجـون)

الفصـــل الخـامس

الفصل الخامس

المشهد الأول
بلمونت - بستان أمام دار بورشيا

(يدخل لورينزو وجيسيكا)

لورينزو : القمريتلألأ نوره . . . في ليلة كهذه ، حين كانت النسمات الهادئة تطبع قبلتها الرقيقة على خدّ الأشجار دون ما صوت أو حفيف ، تسلّق ترويلوس أسوار طروادة ، مصوّبا النظر وهو يتنهد في حرقة إلى معسكر الإغريق حيث كانت كريسيدا تقضى ليلتها [1].

جيسيكا : في ليلة كهذه ، كانت ثيسبى تخطو على الأرض المبتلة بالندى وهى خائفة مذعورة ، فلمحت خيال الأسد من قبل أن يبدو لها ، فأصابها الوجل ولاذت بالفرار [2].

لورينزو : في ليلة كهذه وقفت ديدو على ساحل البحر صاخب الأمواج وهى

---

(١) ترويلوس ، في الأساطير الإغريقية ، أحد أبناء بريام ملك طروادة ، وكان شديد الحب لكريسيدا التى كانت تخونه .

(٢) ثيسبى ، في الأسطورة الآسيوية ، حبيبة بيراموس البابلى وجارته . اعترض أبواهما على زواجهما فاتفقا على الهرب . وإذ كانت ثيسبى في طريقها إلى مكانه أزعجها أسد ففرت تاركة وراءها وشاحا لوّثه الأسد بالدماء ، فلما عثر عليه بيراموس ظن أن الأسد قد فتك بها فقتل نفسه بسيفه . ثم أقبلت ثيسبى فأمسكت بالسيف وانتحرت .

تحمل عودا من شجر الصفصاف تلوّح به لحبيبهاحتى يعود إلى قرطاجنة [1].

جيسيكا : فى ليلة كهذه كانت ميديا تجمع الأعشاب السحرية حتى تعيد بها الشباب إلى إيسون الشيخ [2].

لورينزو : فى ليلة كهذه فرّت جيسيكا من دار اليهودى الثرى ، تاركة البندقية مع حبيبها الطائش قادمين إلى بلمونت .

جيسيكا : فى ليلة كهذه أقسم لورينزو الشاب أنه يهيم بها ، وسلبها عقلها بالعديد من عهود الإخلاص والوفاء ، وما كان صادقًا فى أى عهد منها .

لورينزو : فى ليلة كهذه أساءت جيسيكا الجميلة الماكرة الظن بحبيبها ولكنه سامحها .

جيسيكا : بوسعى أن أغلبك الليلة فى هذه المساجلة لو أننا ظللنا وحدنا . غير أنى أسمع دبيب أقدام رجل يقصدنا .

(يدخل رسول هو ستيفانو)

لورينزو : من القادم مسرعا هكذا فى هدأة الليل ؟

ستيفانو : صديق .

لورينزو : صديق ؟ أى صديق ؟ ما اسمك أيها الصديق ؟

ستيفانو : أُدعى ستيفانو ، وقد أتيت لأخبركم أن سيدتى ستصل إلى بلمونت قبل مطلع الفجر ، وهى الآن تجول بين صلبان مقدسة تركع عندها وتدعو أن يمنّ الله عليها بحياة زوجية سعيدة .

لورينزو : من يأتى معها ؟

---

(١) ديدو ، فى الأساطير الرومانية ، مؤسسة قرطاجنة وملكتها . يروى فيرجيل فى الإنيادة أخبار حبها لإينياس ثم يأسها من حبه حين سافر وتركها فانتحرت .
(٢) ميديا ، فى الأساطير الإغريقية ، هى أميرة كولشيس . اشتهرت بالسحر ، وعاونت جيسون فى العثور على الجزّة الذهبية ، ثم استعانت بأعشاب سحرية لردّ الشباب إلى والد جيسون .

ستيفانو : ما من أحد غير راهب مقدس ووصيفتها . ولكن خبرنى من فضلك : هل عاد سيدى ؟

لورينـــزو : لا عاد ولا جاءتنا أخبار منه . ولكن ، هيا بنا ندخل ياجيسيكا لنعد استقبالا حافلا لسيدة الدار .

(يدخل القروى لانسلوت)

لانسلوت : صولا صولا ! ووها هو ! صولا صولا [1] !

لورينـــزو : من ينادى ؟

لانسلوت : صولا ! هل رأيت السيد لورينزو ؟ ياسيد لورينزو ! صولا صولا !

لورينـــزو : كفاك صراخا يارجل ! ها أنا ذا .

لانسلوت : صولا ! أين ؟ أين ؟

لورينـــزو : هنا !

لانسلوت : أخبره أن رسولا قد وصل من لدن سيدى يحمل فى جعبته أنباء كثيرة سارة . وسيصل سيدى إلى هنا قبل طلوع الصبح . (يخرج)

لورينـــزو : لندخل إذن ياحبيبتى الدار لانتظارهم فيها . لا . ما بنا من حاجة إلى الدخول . أدخل أنت ياصديقى ستيفانو وخبّرهم فى الدار أن سيدتك على وشك الوصول ، واطلب من الموسيقيين أن يأتوا هنا فى الهواء الطلق . (يخرج ستيفانو) .

ما أجمل ضوء القمر على هذه الضفّة ! لنجلس هنا ، وندع نغمات الموسيقى تداعب آذاننا . فالليل والسكون الجميل هما خير ما يناسب الموسيقى العذبة . . إجلسى ياجيسيكا ، وانظرى كيف رُصّعت أرضية السماء بأشكال من الذهب البراق . . إنه ما من كوكب مهما صغر حجمه مما ترينه إلا ويغنّى أثناء حركته كالملاك الذى يبعث أنغامه إلى أسماع

---

(١) نداء يتنادى به الصيادون أثناء القنص .

الملائكة الصغار . مثل هذا الانسجام تعرفه الأرواح الخالدة . فإن أطبقت عليها أجسادنا الفانية الغليظة المخلوقة من طين ، سلبتنا القدرة على سماعه .

(يدخل ستيفانو مع الموسيقيين)

هيا ! تعالوا فأيقظوا ديانا بأنغامكم ، واعزفوا حتى تصل ألحانكم إلى أسماع سيدتكم فتهديها الموسيقى إلى بيتها .

(تعزف الموسيقى)

جيسيكا : دائما أشعر بالمرح يفارقنى عند الإستماع إلى لحن عذب .

لورينزو : ما ذاك إلا لأنك تستمعين إليه وعقلك متوثب متحفّز . يكفى أن تلاحظى قطيعا من الحيوانات البرية الهائمة ، أو جنسا من الخيول الصغيرة التى لم يركبها بشر ، تقفز كالمجنونة وتصهل صهيلا يصم الآذان ، وقد هاجت الحرارة الغريزية فى دمائها ، حتى إذا ما سمعت صوت بوق ، أو وصلت إلى آذانها أنغام من الموسيقى ، رأيتها وقد توقّفت جميعها فى آن واحد ، وتحوّلت النظرة الشرسة فى عيونها إلى نظرة وديعة ، بفعل سحر الموسيقى . . لذلك ذهب الشاعر (١) إلى أن أورفيوس كان يجذب إليه الأشجار والحجارة وسيول الماء ، حيث أنه ما من شىء مهما بلغت غلظته وصلابته وشدته إلا أفلحت الموسيقى فى تغيير طبيعته إلى حين . والإنسان الذى تفتقر روحه إلى الموسيقى ، ولا يهزه الانسجام فى الأنغام العذبة ، خليق بالخيانة والمكر والنهب ، ظلام روحه فى مثل ظلام الليل، داكن المشاعر مثل إيريبوس (٢) ، ولا يجدر بأحد أن يأتمنه . استمعى إلى اللحن .

(تدخل بورشيا ونيريسا)

(١) يقصد أوفيد ، الشاعر اللاتينى .

(٢) إيريبوس : موضع الظلمات بين الأرض والجحيم .

بورشيا : الضوء الذى نراه صادر من صالة البيت . كيف يمكن لشمعة صغيرة أن ترسل أشعتها مثل هذه المسافة البعيدة ؟ وهكذا يسطع العمل الطيب فى ظلمة عالم شرير .

نيريسا : لم نر الشمعة حين كان القمر ساطعا .

بورشيا : وكذا يحجب المجد الأكبر ما دونه فى الدرجة . . بوسع نائب الملك أن يتألق تألق الملك ، حتى إذا ما رجع الملك زال بريقه وتلاشى تلاشى ماء الجدول الصغير حين يصب فى البحر . . أنصتى ! موسيقى !

نيريسا : الموسيقى صادرة من منزلك ياسيدتى .

بورشيا : يخيل إلىّ أنه ما من شىء يمكن وصفه بالجمال إلا بالمقارنة بغيره . ألا ترين أن الموسيقى بالليل أعذب منها بالنهار ؟

نيريسا : هذا بفضل السكون ياسيدتى .

بورشيا : غناء الغراب مشابه لغناء القُبّرة عند من لا يسمع . وفى ظنى أن البلبل لو غنى نهارًا حين يصيح الأوز ، لما اعتبر الناس شدوه أجمل من شدو الصَّعْو . وكم من الأشياء ازدانت بظهورها فى أوانها فحظيت بالمديح ووصفت بالكمال . صَهْ ! إلهة القمر ترقد مع الراعى إينديميون وتأبى أن تستيقظ (١) !

(تتوقف الموسيقى)

لورينزو : هذا صوت بورشيا ، ما لم تخدعنى أذناى .

بورشيا : قد تعرّف علىّ كما يتعرّف الأعمى على طائر الوقواق من صوته القبيح .

لورينزو : سيدتى العزيزة ، مرحبا بك فى دارك .

بورشيا : كنا نصلى من أجل زوجينا ، وندعو لهما بالخير دعاء نأمل أن يستجاب . هل عادا ؟

(١) إينديميون : فى الأسطورة الإغريقية ، راع وسيم عشقته إلهة القمر . وربما ذكرت بورشيا هذا حين رأت جيسيكا نائمة فى أحضان لورينزو .

لورينزو : لم يعُدا بعد ياسيدتى ، غير أن رسولا جاء يخطرنا بقرب وصولها .

بورشـيا : أدخلى يانيريسا وأمرى الخدم بألا يذكروا شيئًا عن غيابنا عن الدار . وكذا أنت يالورينزو . وأنت ياجيسيكا .

(صوت نفير)

لورينزو : زوجك يقترب ، فقد سمعت صوت نفيره . . لا تخشى شيئًا ياسيدتى فلسنا بالنمّامين .

بورشـيا : لا أرى هذه الليلة فى نورها تختلف كثيرًا عن النهار ؛ عن نهار عليل شاحب اللون بعض الشىء ، أو عن نهار توارت فيه الشمس .

(يدخل بسانيو وأنطونيو وجراشيانو وأتباعهم)

بســانيو : لو كنا فى الجهة المقابلة المظلمة من الأرض وحللت أنت مكان الشمس ، لرأينا نور النهار هناك بأعيننا .

بورشـيا : سألعب إذن دور الشمس دون أن أكون امرأة لعوبا ! فالزوجة اللعوب تخلق الزوج الغضوب . ولن أُغضب بسانيو منى أبدًا . وكل شىء فى يد الله على كل حال . مرحبا بك ياسيدى فى دارك .

بســانيو : شكرًا لك ياسيدتى . هيا رحّبى بصديقى . إنه أنطونيو موضوع القضية ، رجل أدين له بالكثير .

بورشـيا : إنك خليق بأن يكون مدينا لك بالكثير ، فقد سمعت أنك صرت مدينا بسببه .

أنطـونيو : ليس دينى بأكبر مما تم بالفعل سداده .

بورشـيا : مرحبا بك ياسيدى فى دارنا . وإذ سيكون ترحيبنا بك بالفعل لا بالقول فإنى سأختصر التحية .

جراشيانو : (لنيريسا) قسما بهذا القمر أنك تظلمينني . والله ما أعطيته إلا لكاتب القاضى . ولكن حيث أنك ياحبيبتى قد ساءك هذا فإن أدعو الله أن يخصى هذا الكاتب .

بورشـيا : أَشِجار ولم تمض غير لحظات على وصولنا ؟ ماذا حدث ؟

جراشيانو : تعنّفنى بشأن خاتم من الذهب ، خاتم زهيد الثمن أعطتنى إياه نُقشت عليه عبارة كتلك التى تنقش على مقابض السكاكين : « أحبّنى ولا تهجرنى » .

نيريسـا : لا تحدثنى عن العبارة أو الثمن . لقد أقسمت لى حين أعطيتك إياه أنك لن تخلعه من إصبعك حتى ساعة وفاتك ، وأنه سيدفن معك فى قبرك . وقد كان من واجبك ، لا من أجلى ولكن من أجل قسمك ، أن ترعى عهدك فتحتفظ به . . يزعم أنه أعطاه لكاتب القاضى ! وأنا أقسم بالله العظيم أن ذلك الكاتب لا لحية له ولن تنبت له لحية ما عاش !

جراشيانو : بل ستنبت له لحية متى بلغ وصار رجلاً يافعًا .

نيريسـا : نعم ، شرط أن تتحول المرأة إلى رجل .

جراشيانو : أقسم بيمينى هذه أنى إنما أعطيته لشاب لم يجاوز عمر الصبا ، صبى قصير نحيل ، لا تزيد قامته على قامتك ، هو كاتب القاضى الذى ظل يلح فى طلبه أجرًا له ، فلم يطاوعنى قلبى على أن أضن به عليه .

بورشـيا : سأكون صريحة معك فأقول إنك مخطئ إذ تتخلى بهذه السهولة عن أول هدية تهديها إليك زوجتك ، وتُهدى الخاتم الذى أقسمت وأنت تلبسه أن تحافظ عليه وأن يظل ملازمًا إصبعك . . لقد أهديت أنا أيضًا إلى حبيبى خاتما وجعلته يقسم ألا يفارقه . وها هو معنا الآن ، وبوسعى أن أقسم نيابة عنه أنه لن يتخلى عنه ولن يخلعه من إصبعه ولو أعطوه مال الدنيا بأسرها . . لا ياجراشيانو . قد كنتَ قاسيا إذ تسببت بفعلتك فى إيلام زوجتك . ولو حدث لى مثل ما حدث لها لجن جنونى .

بســانيو : (جانبا) ليت يدى اليسرى قد قُطعت حتى أقسم لها أنى فقدتها وأنا أدافع عن الخاتم !

جراشيانو : لقد أعطى مولاى بسانيو خاتمه للقاضى عندما طلبه منه ، وكان القاضى بالفعل جديرًا بأن يناله . ثم جاء هذا الغلام كاتب القاضى

الذى بذل جهدًا فى تحرير المحاضر فناشدنى أن أعطيه خاتمى . وما قبل القاضى ولا كاتبه أجرًا غير الخاتمين .

بورشـــيا : أىّ خاتم ياسيدى ذلك الذى أعطيته للقاضى ؟ آمل ألا يكون الخاتم هديتى إليك .

بســـانيو : لولا خشيتى من أن أضيف الكذب إلى غلطتى لأنكرت ذلك . ولكنك ترين إصبعى دون خاتم فيه . فقد راح الخاتم .

بورشـــيا : وكذا أرى قلبك الزائف دون وفاء فيه . قسمًا بالله لن أشاركك فراشك حتى أرى الخاتم مرة أخرى .

نيريســـا : وأنا أيضًا ، حتى أرى خاتمى مرة أخرى .

بســـانيو : عزيزتى بورشيا ، لو أنك عرفت ذلك الذى أعطيته الخاتم ، ولو أنك عرفت الشخص الذى من أجله أعطيت الخاتم ، ولو أنك عرفت الخدمة التى أعطيت ثمنا لها ذلك الخاتم ، وأدركت مدى أسفى وأنا أعطى الخاتم ، وأنى لم أعطه إلا لأنه أبى أن يقبل غير الخاتم ، لكان من المؤكد أنك ستخففين من غلواء غضبك .

بورشـــيا : لو كنت تعرف أنت قيمة هذا الخاتم ، أو حتى نصف جدارة تلك التى أعطتك الخاتم ، والتزامك الخلقى بالحفاظ على الخاتم ، لما تخليت إذن عن الخاتم . وما أحسب أن هناك رجلاً هو من الهوس أو قلة الذوق بحيث يصر على أخذ شىء عزيز على رجل آخر ، لو أنك أبيت أن تعطيه إياه مع شىء من الإصرار . وإنى لأظن نيريسا على حق ، وأكاد أقسم أنك قد أعطيته لامرأة !

بســـانيو : سيدتى ، أقسم بشرفى وبخلاص روحى أننى ما أعطيته لامرأة ، وإنما لفقيه فى القانون المدنى أبى أن يأخذ منى ثلاثة آلاف دوقية ، وألح فى طلب الخاتم فأبيت ، مما جعله ينصرف ساخطا ، وذلك بالرغم من أنه هو الذى أنقذ حياة صديقى العزيز . فما عساى أن أقوله ياسيدتى ؟ لقد اضطررت إلى أن أبعث به إليه وقد أحسست بالخجل وضرورة مراضاته .

ذلك أننى لم أسمح بأن يلوّث نكران الجميل شرفى . فاغفرى لى أى سيدتى الطيبة ، وأقسم بهذه النجوم المباركة فى سماء الليل ، أنك لو كنت معنا هناك لناشدتنى أن أعطيك الخاتم حتى تدفعيه إلى ذلك الفقيه الموقر .

بورشـــيا : لا تدع الفقيه يقترب من دارى ما دام قد حصل على الحلية التى كنت أحبها والتى أقسمت أنت أن تحتفظ بها نيابة عنى . فإن جاء فسأحذو حذوك وأكون سخية معه ، لا أضن عليه بشىء أملكه حتى إن كان جسدى أو فراش زوجى . وإنى لواثقة من أنى سألقاه . فلا تبيتن ليلة خارج الدار . وكن فى مراقبتك إيّاى يقظا مثل أرجوس [1] ، وإلا فإن فى نيتى متى ما تُركت وحدى ، وقسما بشرفى الذى لا يزال حتى الآن ملكا لى ، أن أضاجع ذلك الفقيه .

نيريســـا : وسأضاجع أنا كاتبه ، فاحذر إذن من أن تتركنى وحدى دون رقابة .

جراشيانو : إفعلى إذن ، وسترين أنى إن ضبطت ذلك الكاتب الشاب معك فسأقصف له قلمه !

أنطـــونيو : ما أشقانى إذ أكون المسئول عن كل هذه الشجارات !

بورشـــيا : لا تبتئس ياسيدى ، ومرحبا بك رغم كل ما حدث .

بســـانيو : بورشيا ، إغفرى لى زلتى هذه غير المتعمدة . وأقسم لك بمسمع من هؤلاء الأصدقاء العديدين ، وبعينيك الجميلتين اللتين أرى صورتى فيهما ———

بورشيا : أسمعتم ؟ إنه يرى فى عينىّ صورتين له ؛ فى كل عين صورة . فاقسم إذن بشخصيتك المزدوجة أصدّقك !

بسانيو : بل فاسمعينى . إغفرى له هذه الزلة وسأقسم لك بخلاص روحى أننى لا أنكث عهدًا أقطعه على نفسى لك .

---

(١) أرجوس ، فى الأساطير القديمة ، هو الحارس اليقظ ذو المائة عين ، إن نام لم يغمض غير اثنين منها .

أنطونيو : لقد قدمت جسدى فى يوم ما ضمانا لدينه . ولولا ذلك الشخص الذى أخذ خاتم زوجك لكنتُ الآن فى عداد الموتى . وها أنا مرة أخرى أقدم روحى ضمانا لالتزام زوجك بعهوده لك .

بورشيا : ما دمت ستكون ضامنه فاعطه هذا واطلب منه أن يحافظ عليه لا كالمرة السابقة .

أنطونيو : خذه يابسانيو واحلف أن تحافظ عليه .

بسانيو : يا إلهى ! إنه نفس الخاتم الذى أعطيته للفقيه .

بورشيا : قد أخذته منه . إغفر لى يابسانيو ، فقد ضاجعت الفقيه من أجل الحصول عليه .

نيريسا : واغفر لى ياجراشيانو العزيز ، فقد ضاجعت ليلة أمس ذلك الصبى القصير كاتب الفقيه من أجل الحصول على هذا الخاتم منه .

جراشيانو : أهكذا تلتمسان العشاق وزوجاكما قويان متلهفان على الوصال ؟ أباتت لنا قرون قبل أن نكون أهلا لها ؟

بورشيا : لا تفحش فى القول . أراكم تعجبون لما حدث . هاكم رسالة فاقرءوها حين يسمح وقتكم . إنها من بادوا ، من بيلاّريو . ومنها ستكتشفون أن بورشيا هى الفقيه ، وأن نيريسا هى كاتبها . ويشهد لورينزو هنا أننى سافرت بعد رحيلكم مباشرة وأننى لم أعد إلاّ الآن ، ولم أدخل بعد دارى . . أنطونيو ، أهلا بك ! وعندى أخبار لك هى أسعد مما تتوقع . فُضّ هذا الخطاب بسرعة ، وستعرف منه أن ثلاثا من سفنك الضخمة قد وصلت فجأة إلى الميناء تحمل ثروة طائلة . ولن أخبرك بخبر المصادفة الغريبة التى أوصلت هذه الرسالة إلى يدى .

أنطونيو : قد عقلت الدهشة لسانى .

بسانيو : أكنتِ الفقيه ولم أتعرّف عليك ؟

جراشيانو : أكنتِ الكاتب الذى أضاف إلى رأسى قرنين ؟

نيريسا : نعم ، وإن كان لن يضيفهما أبدا إلى رأسك ما لم يغدُ رجلا .

بسانيو : أيها الفقيه العزيز ، ستكون رفيقى فى الفراش ، فإن غبتُ كان من حقك أن تضاجع زوجتى .

أنطونيو : سيدتى الجميلة ، قد رددتِ علىّ حياتى وثروتى . فالخطاب هنا يؤكد أن سفنى قد وصلت سالمة إلى الميناء .

بورشيا : أما عنك يالورينزو فإن لدى كاتبى أخبارًا سارة لك أنت أيضًا .

نيريسا : أجل . ولن أطلب أجرا مقابل إخطاره بها . . هاك أنت وجيسيكا من عند اليهودى الثرى عقد هبة يترك لكما بمقتضاه عند وفاته كافة ما يملكه .

لورينزو : إنه المنّ تطرحه هاتان السيدتان الجميلتان فى طريق الجياع .

بورشيا : كاد الصباح يدركنا . غير أنى واثقة من أنكم تريدون معرفة المزيد من تفاصيل هذه الأحداث . فلندخل إذن ، واطلبوا منا أداء اليمين قبل استجوابكم إيانا وسنخبركم فى صدق بكل ما حدث .

جراشيانو : فليكن إذن . وسيكون أول سؤال لى فى استجوابى لنيريسا بعد أدائها اليمين هو ما إذا كانت تفضل الانتظار حتى الليلة القادمة ، أم أنها ترى أن نأوى الآن إلى الفراش وقد مضت ساعتان على طلوع الفجر . فإن سطع نور الصباح فسأدعو الله أن يخفيه ، حتى أضاجع كاتب الفقيه . كذلك فلن أحرص على شىء ما كُتب لى البقاء ، حرصى على صيانة خاتم نيريسا الحسناء .

مدرسة الـ...